

جاءك دريدا

مواقف

حوارات

ترجمة و تقديم
فريد الزاهي



دار الفكر للنشر

جاك ديريدا

مواقف

حوارات مع جاك ديريدا

هنري رونس - جوليا كريستيفا - جيني سكاربيتا - جان لوي هودين

ترجمة وتقديم

فريد الزاهي

دار توبقال للنشر

عمارة معهد التسيير التطبيقي - ساحة محطة القطار

بلفدير - الدار البيضاء 05 - المغرب

الهاتف : 24.06.08.12

تم نشر هذا الكتاب ضمن سلسلة
المعرفة الفلسفية

الطبعة الأولى ، 1992
جميع الحقوق محفوظة

رقم الإيداع القانوني : 1992 / 740
التصنيف : الصحراء للطباعة والنشر
27 حي ابن سينا - الشقة 1 - الرباط

تقديم

ليس مرمى هذا التقديم أن يكون مدخلا لكتابات جاك دريدا ، فالحوارات المترجمة هنا كافية للتكفل بعناء هذه المهمة (1) ، إننا نروم هنا فقط الحديث عما يجعل ترجمتنا المقترحة هذه مدخلا للعبة الكتابة ولعبة المواقع في نصوصه .

تشكل كتابات جاك دريدا قراءة "شاملة" للفكر الغربي في خصائصه ومكوناته الأساسية التي عليها يقيم صرحه وانطلاقا منها يرمي بامتداداته . إنها قراءة تنطلق عادة من موقع (2) تساؤل معين (وليكن الكتابة أو الأثر أو الاسم الشخصي أو التوقيع أو السيرة الذاتية . . .) لتبدأ رقعة الترابطات تتوسع ، ولتتبدى معها مساحة التفكير والتفكيك شاسعة بقدر شساعة حقول وقضايا الميتافيزيقا . فقضية الكتابة - مثلا - تصبح البؤرة التي

(1) باعتبارنا لهذه الحوارات مدخلا أوليا لكتابات دريدا الأولى (1962 - 1972) نكون قد أعطيناها أحد أبعادها الأساسية . نحيل أيضا إلى مقدمتي محمد علال سيناصر و كاظم جهاد لكتاب جاك دريدا : الكتابة و الاختلاف ، الصادر عن دار تويقال للنشر سنة 1988 و إلى :

- François WAHL, Qu'est-ce que le structuralisme? 5. Philosophie, Seuil, col. Points, 1973.

- Daniel Giovanageli, Ecriture et répétition, Approche de Derrida 10/18, 1979.

- Vincent DESCOMBES, Le Même et l'autre, 50 ans de philosophie française (1933-1973), Minuit, 1979.

- Claude LEVESQUE, L'Etrangeté du texte Essai sur Nietzsche, Freud, Blanchot et Derrida, 10/18, 1978.

- Sarah Kofman, Lectures de Derrida, Galilée, 1984.

(2) فضلنا ترجمة كلمة positions بـ: مواقع لأن المدلول الثاني للكلمة (مواقف) يوحي بالتوقف مع أو ضدّ ، و هي حالة تحيل إلى ثنائية لن يفيد الحلّ الهيغلي في الخروج منها . أما المدلول الذي اخترناه فإنه يحيل إلى و يلح على فضائية الكتابة (الهامش، التباعد، الفاصل . . .) و أيضا إلى إمكانية الحركة داخل فضاء الاستراتيجية التفكيكية لـ "مشروع" دريدا .

من خلال حساسيتها تتم مسألة فكر الدليل signe من أفلاطون إلى سوسور والبنوية مروراً برُوسُو وهيجل وهوسرل . . . ووضع اليد على وضعية الكتابة في هرمية التسلسل الميتافيزيقي لمكونات الدليل وحوافزها، ومن ثم على المؤديات التي تحملها مفاهيم من قبيل التمثيل والتعبير . . . الخ.

إن تساؤلات دريدا تبدأ دائماً من موقع الهامش، أو بما يُعتبر كذلك لا لتعيده - عبر التحليل - إلى موقع المركز، وإنما لتجعل منه موقعاً ممكناً للكتابة وفضاء فعلياً للنص والتفكيك. وبهذا المعنى فإن الحوارات التي يتضمنها هذا الكتاب تقترح نفسها كهوامش تطرح قضايا ونصوصاً هي بدورها جاءت لتكون هوامش للقراءة على نصوص أخرى (لأفلاطون وروسو وهيجل وهيدجر وأرطو وباطاي . . .) إن هذه السلسلة المحكمة الترابط تمكن الهامش من أن يكون منغرساً في صلب القضايا الأساسية التي ينهض عليها الفكر في الغرب، ونصاً متداخلاً مع أشكال كتابته ("أدبا" و"فلسفة" و"بلاغة" . . .).

وإذا نحن تجاوزنا التعارضَ البسيط بين الشفوي والمكتوب، بل إذا نحن اعتبرنا التمييز بين النصي textuel والموازي النصي paratextuel إجرائياً فقط، فإننا سنقرأ هذه الحوارات بدورها باعتبارها نصوصاً، لا تقلت طبعاً من ضرورات الارتجال والإجابة اللحظية إلا أنها تحافظ على ما يجعلها تصبح قائمة بذاتها (3). إنها لذلك حوارات موازية للنصوص التي تفكرها، تمنح من قوتها وتضيف إليها من معناها، كما أنها في كثير من الأحيان تفيض في طروحاتها عما جاء في الأبحاث التي تتمحور حولها. (انظر الحوار الثالث من هذا الكتاب مثلاً).

حين يحضر المحاور بفكره النقدي وتجربته الثقافية فإنه يصبح مُشاركاً في النص وليس مجرد حافز خارجي له. فجوليا كريستيفا وجان لوى هودوين . . . لم يكتفيا بأسئلة توضيحية لكتابة متراكمة في نظمها ودلالاتها وإنما جعلوا من الحوارات مجالاً للملازمة الوجود الكامل لنصوص دريدا سواء في طابعه الكتابي أم في نوعية إحالاته وفجواته. من هنا، تأخذ هذه الحوارات أهميتها، باعتبارها من جهة مسحةً نقديةً لمجمل القضايا التي تطرحها "المرحلة الأولى" من كتابات جاك دريدا ومدخلاً أولياً لقراءتها،

(3) حين سألته عن إمكانية اعتبار هذه الحوارات بدورها نصوصاً، أجابني جاك دريدا بالإيجاب، خصوصاً وأن الحوارات خضعت للمراجعة من طرفه وأغنت بهوامش وإحالات لسد الثغرات التي تركها الارتجال مفتوحة.

وباعتبارها من جهة أخرى دعوة لقراءة النصوص التي تشكل موضوعها ومن منظورات جديدة وأكثر نقدية .

تشكل هذه الحوارات - ومعها كل نصوص دريدا - عبر مداورة الكلمات والمفاهيم وانتقاد محمولاتها وعدم الاستسلام لعُرفيتها . إنها واعية كل الوعي بهذا الشرط الخاص ، الشيء الذي يجعلها تفكر قضاياها وموضوعاتها داخل اللغة التي بها تصوغها ، وبدون أن تترك تلك اللغة مجرد وعاء لها .

هذه العملية المركبة تكتب نفسها بمراعاة تامة وتداخل مُحكم مع التفكيك الذي تمارسه لغة وأسلوب وموضوعات الفكر الميتافيزيقي . ولذلك فإنها تتحول إلى كتابة مليئة بالخيَل والحَذَر ، كتابة صعبة الإمساك ، متعددة ومنغلقة من أي تحديد هيرمينوسي .

لكل هذا لا يمكن للترجمة أن تنسلخ عن هذه الخصائص التي عبرها تقدم لنا نصوصُ دريدا نفسها ، بل من الصعب على لغة لا تنتمي للدائرة اللسانية التي يُفكر بها وعبرها دريدا أن تستوعب كل هذه "الكومة" من القضايا ذات الطابع النصي - الشكلي . فإذا كان النص المترجم يمتح مضامينه من لغة (أولغاته) فإن النص المترجم مُطالبٌ - منطقياً - أن يستمد مقوماته بدوره من اللغة (أواللغات) التي إليها ينتمي . عن هذا سيستج - منطقياً أيضا - نصان متباينان كل التباين في توجهاتهما ونتائجهما وسيستحيل الفاصل بين النصين إلى هوة سحيقة غير قابلة للالتئام . لذلك نستطيع القول بأن ترجمة نصوص دريدا هي مجرد إمكانية تحيل ضرورة إلى النص "الأصلي" وتستقر فيه ، ولا يكون ذلك أبداً تقديساً لأولوية النص الأصلي وإنما فقط توزيعاً لخصّة اللغات والألسن في الكتابة والكتابة - الترجمة ، خصوصاً وأن نصوص دريدا بدورها قراءة وترجمة (تحويل) لنصوص غائبة عنها أو حاضرة فيها . إن عملية التوزيع هذه ، سواء في سماتها اللسانية أو الفكرية ، هي ما يجعل من ترجمة نصوص دريدا مغامرة مزدوجة :

أولاً : لأن الدال اللساني فيها يتحول - عبر عملية انتهاك وخرق - لا يزال دريدا يمارسها لحد الآن - إلى مفهوم مُحدّد بعنف ذاك الانتهاك ويعنف كتابته ، ولأنه يخضع ل "شعرية" معينة تمكنه من أن يتحكم في نص له صياغته الدقيقة ومسارب خاصة لشكل كتابته . هذه الصياغة ذات الطابع المتأهي أحياناً - كثيراً ما تفتح نفسها على نفسها وتجعل من قضية الصياغة مسألة كتابة ومسألة فكر ووجود .

ثانياً: لأن هذه الخاصية، التي تبدو ذات طابع شكلي، هي في الحقيقة وفي نفس الآن، مضمون النص أيضاً، سطحه وعمقه معاً. وهذا ما يؤدي بكتابة دريدا إلى الانغراس في نصوص متعددة تسائل فيها انغلاقها وانفتاحها (لكتاب من حقب تاريخية ومن توجهات مختلفة) وإلى محاذاة ونقد وتفكيك حركات فكرية وثقافية متباينة في إطارها الاستمولوجي (فلسفة، أدب، علوم إنسانية...) ولعلها بهذا العبور تموقع نفسها وتوضح "الإطار" الفكري والتاريخي الذي من داخله تنبثق.

إن هذه الحركة وهذا التشكل الفسيقي - الذي نلمسه أيضاً في هذه الحوارات - هو ما يدعو الترجمة - أية ترجمة - إلى أن تتحمل مسؤولية هذا الطابع البلوري، ويدعو القراءة - عادية كانت أو نظرية - إلى أن تكون بدورها حذرة وأن تضاعف من يقظتها...

فريد الزاهي

مكناس . أبريل 1989

مؤديات *

حوار مع هنري رونس

■ صرّحت في ملاحظة ختامية لمؤلفك "الكتابة والاختلاف :

"إن ما يتبقى من تحويل سؤال ما يشكل بالتأكيد نسقا . ألا ينسحب هذا أيضا على مجموع مؤلفاتك . كيف تنتظم هذه الأخيرة فيما بينها؟

□ إنها كتحويل وكتحويل للسؤال تشكّل بالفعل نسقا منفتحا حقا على معين لا ينضب يمنحها لعبتها . والملاحظة التي اشرت إليها تستدعي أيضا ضرورة هذه ال "بياضات" التي غدت ، على الأقل منذ مالأرمني تمارس أهميتها في كل نص .

■ رغم ذلك فإن هذه المؤلفات لا تشكل كتابا واحداً .

□ نعم ، إن ما يتم خلخلته في ما أسميته مؤلفاتي هو أولاً وحدة الكتاب والكتاب كوحدة منظوراً إليها ككل متناسق ، مع ما يفصح عنه هذا المفهوم من مؤديات . وأنت تعرف أن هذه المؤديات تُلزم ، من قريب أو من بعيد ، ثقافتنا في كليتها . ففي الحين الذي يرسم هذا الانغلاق لنفسه حدوده كيف ستتجرأ نحن على اعتبار أنفسنا مؤلفي كتب ، ثلاثة كانت أو واحداً أو اثنين؟ فالمقصود هنا بهذه العناوين هو فقط "عملية" نصية (إذا صح القول)

وحيدة واختلافية ليس لها من بدء مطلق وتبدد في قراءة نصوص أخرى؛ كما أنها لا تحيل بالرغم من ذلك على أية صورة سوى كتابتها الخاصة. وما يلزمنا الآن هو البحث عن شكل لتفكير هاتين الموضوعتين المتناقضتين معاً. فنحن لا نستطيع إذن أن نتمثل التنظيم الداخلي لهذه الأعمال بشكل خطّي أفقي واستنباطي تمثيلاً مع "نظام سببي" معين. ذلك أن هذا النظام نفسه خاضع للخلخلة بالرغم من أن مرحلة كاملة من نصوصي تبدو متوافقة مع متطلباته، على الأقل بشكل سيمو لاكري، ولكي يتم إدماج تلك المتطلبات بدورها في تركيب لا تتحكم هي فيه. وينبغي، كما تعرف، قراءة وإعادة قراءة أولئك الذين على هديهم أكتب وكذا قراءة "الكتب" التي على هامشها وبين سطورها أرسم وأفكُ الغاز نصّ مشابه لها ومختلف عنها في نفس الآن، نصّ أنا متردد - ولأسباب وجيهة - في تسميته مقطّعياً fragmentaire (1).

■ لكن كيف نحاول بالفعل، أو على الأقل نظرياً، قراءة من هذا القبيل؟

لا يمكن الإمساك بـ في علم الكتابة كبحث طويل يتمفضل في جزئين تكون لحمتها نظرية ونسقية لا تجريبية، وفي وسطه نستطيع أن نسفّر brocher الكتابة والاختلاف لأن الأول لا يني يحيل على الثاني. وفي هذه الحالة ستكون القراءة التأويلية لرؤوس (2) الفصل الثاني عشر من هذه المجموعة. ومن وجهة معاكسة نستطيع أن ندمج في علم الكتابة في قلب الكتابة والاختلاف ما دامت ستة نصوص من الكتاب الأخير سابقة حقا وفعلا على المقاولات التي تعلن عن ميلاد كتاب "في علم الكتابة"، وبما أن الخمسة الأخيرة منها، بدءاً من "فرويد ومسرح الكتابة" تدخل في الانفتاح الجراماتولوجي*، إلا أن مسار الأمور لا يمكن إعادة تركيبه ببساطة بالشكل الذي يمكن أن تتخيله. على كل حال

(1) تمثيل المقطعية أو الشذرية إلى مفهوم التشيت كما بلوره دريدا في البحث والكتاب اللذين يحملان نفس العنوان. إلا أنه من المفيد الإشارة إلى أنه يحيل أصلاً إلى مفهوم الكتابة المقطعية كما اقترحه بلانشو في الكتاب الآتي وكما طوره وعممه في حصّة النار وكتابة الكارثة. إن اهتمام دريدا بتصور بلانشو للكتابة يبدأ مع الكتابة والاختلاف لياخذ، راهنا حجمه الحقيقي بكتاب خاص عنه: نواحي parages، جاليليه، 1986.

(2) يعني ج. دريدا الجزء الثاني من كتاب في علم الكتابة الذي يحمل عنوان: "طبيعة، ثقافة، كتابة" وهو مخصص لتحليل موقع الكتابة في المنظومة الفكرية لجان جاك روسو.

* حين تأتي كلمة علم الكتابة grammatologie نعتاً أو دقة فإننا نحافظ لها على صيغتها الأصلية تسهلاً للترجمة.

يتداخل المجلّدان الواحد في قلب الآخر ، وهذا يحيل - وهو ما ستفق معي فيه - إلى هندسة غريبة تكون هذه النصوص بدون شك معاصرة لها .

■ وماذا عن كتابك الصوت والظاهرة ؟

□ لقد نسيت أن أقول بأنه البحث الذي اعترز به أكثر من غيره . قد أستطيع أن أجعل منه هامشاً note طويلاً للعمل الأول أو الثاني . ف في علم الكتابة يحيل عليه ويقتصد تطوره . لكن إذا تعلق الأمر بعمارة فلسفي فإن الصوت والظاهرة سيأتي في المقام الأول ، إذ فيه (وهذا ما لا أستطيع تفسير دواعيه حالياً) يتم في نقطة حاسمة على المستوى الحقوقي طرحُ مسألة الاهتمام البالغ بالصوت والكتابة الصوتية في علاقتهما بالتاريخ العام للغرب ، وكما سيتم تمثيلها في تاريخ الميتافيزيقا في شكلها الأكثر حداثة ونقدية وحذراً ، أعني الفينومينولوجيا المتعالية لهوسرل .

ماذا نعني " بإرادة القول " ؟ ما علاقتها التاريخية بما نعتقد الإمساك به باسم " الصوت " كقيمة للحضور : حضور الموضوع ، حضور المعنى للوعي والحضور لذاته في الكلام (المسمى) حياً وفي الوعي بالذات ؟ يمكن قراءة البحث الذي يطرح هذه الأسئلة باعتباره الوجه الآخر (الأول أو الثاني ، كما تشاء) لبحث آخر نشر سنة 1962 كمقدمة لترجمة أصل الهندسة لهوسرل . لقد كانت إشكالية الكتابة قد تبلورت فيه بالشكل الذي هي عليه حالياً في ارتباط مع البنية غير القابلة للاختزال لفعل خالف/اختلف differ وفي علاقته بالوعي والحضور والتاريخ وتاريخ العلم وكذا بغياب أو إرجاء الاصل .

■ لقد طلبت منك من أين البدء وأنت سجتني في متاهة . .

□ إن كل هذه النصوص هي بدون شك المدخل اللامنتهي لنص مغاير أود لو امتلك يوماً القدرة على كتابته ؛ إنها مجرد تصدير pigraphe ، لنص آخر لن امتلك الجرأة على كتابته . ولذا فهي ليست بالفعل سوى تعليق على جملة قائمة على متاهة من الأرقام ، جملة تتصدر بالشرح كتاب الصوت والظاهرة .

■ كل هذا يُفضي إلى مسألة تعذر قراءتك ، أعني قراءة " أمثلتك " المفضلة (رُوسو ، أوطو ، باطاي ، جابيس . . .) ، إنها مسألة علاقة الفلسفي باللافلسفي . وما يشد

انتباهنا منذ البداية هو صعوبة موضوعة أسلوب تعليقك في مجال معين . بل يبدو وتحديد وضعية معينة لخطابك شيئاً أقرب إلى المستحيل . لكن ، هل نجازف بالقيام بذلك؟ ألا يسقطُ هذا السؤالُ نفسه في دائرة الميتافيزيقا؟

□ إنني أحاول الوقوف عند حد الخطاب الفلسفي . أقول حداً لا موتاً . ذلك اني لا اومن مطلقاً بما شاعت تسميته راهناً بموت الفلسفة (بل لا اومن بكل بساطة بأي شيء : الكتاب ، الإنسان أو الله ؛ هذا مع الوعي بأن الموت كما نعرف جميعاً يمتلك فعالية ذات خصوصية واضحة) . انطلاقاً من هذا الحد أصبحت الفلسفة ممكنة وأصبح ممكناً من ثم تحديدها كمجال معرفي يشتغل داخل ضرورات وعوائق أساسية وتقلبات مفاهيمية يستحيل محاربة الفلسفة من خارجها . ففي قراءاتي أحاول إذن وبحركة مزدوجة ضرورة...

■ تقول في تصورك لفرويد الذي يكتبُ بيدين...

لا... نعم ، هذه لعبة مزدوجة تنطبع في مجالات حاسمة بشطبة nature (3) تترك الدليل المطموس ممكن القراءة ، وتسجل في النص ويعنف كل ما يطمح إلى قيادته من الخارج . إنني بهذه اللعبة أحاول بكل الصرامة الممكنة أن أحترم اللعبة الداخلية المقتنة لهذه الوحدات المعرفية والفلسفية ، وذلك بجرها إلى الانزلاق طوعاً إلى نقطة لا ملاءمتها non-pertinence ، أي إلى نقطة فراغها وانغلاقها . إن "تفكيك" البناء الفلسفي سيكون إذن هو تفكير الجينياالوجيا المحكمة البنية لهذه المفاهيم وذلك بالطريقة الأكثر إخلاصاً والأكثر محايدة . لكن في الوقت ذاته وانطلاقاً من خارج معين لا تستطيع هذه البنية تعيينه أو تسميته ، سيكون ذاك التفكيك تحديداً لما أخفاه ذاك التاريخ أو منعه ، صانعاً بذلك نفسه

(3) تعود هذه العملية أصلاً إلى مارتن هيدجر (انظر : قضايا 1 ، ص 232-239) ، و الهدف منها كما يصرح هو نفسه جعل الوجود لا يحضر أمامنا كوجود معطى . وقد كتب دريدا عن ذلك قائلا : "إن هيدجر لا يتركنا نقرأ كلمة "وجود" إلا تحت صليب شاطئ لا يكون بالرغم من ذلك دليلاً سالباً وبساطة . إن تلك الشطبة هي الكتابة الأخيرة لعصر معين ، فتحت معالمها يتمحي حضور المدلول المتعالي بالرغم من أنه يظل قابلاً للقراءة . (في علم الكتابة ، ص 38) . ونحن نجد صدى بل و ممارسة منهجية للشطبة في كتابات دريدا وذلك لوسم جسد الدليل بما يضع فيها موضع تساؤل حضور المعنى أو المدلول في أولويته وسلطته وتعالیه . انظر في ذلك : في علم الكتابة ، ص 31-65 مثلاً .

كتاريخ على أساس ذاك القمع . آنذاك ومن خلال هذه الحركة (المخلصة والعنيفة معا) وبين خارج و داخل الفلسفة (أعني الغرب) سيتم إنتاج عمل نصي فيه متعة كبرى . إنها كتاب ة مفتحة للذات ، تمكّن أيضا من قراءة الوحدا الفلسفية -philosophie- ومن ثم كل النصوص المنتمية لثقافتنا - باعتبارها أعراضاً ظاهرة (وهي كلمة مشتبهة فيها كما شرحت ذلك في مقام آخر) لشيء لم يتمكن من التماظهر داخل تاريخ الفلسفة ، بل لا يوجد في مكان ما . إن الأمر يتعلق في هذه القضية بخلخلة التحديد الذي استطاع هيدجر التعرف فيه على مصير الفلسفة .

بالإمكان إذن متابعة تصور الكتابة كعرض symptome معبر للغاية من أفلاطون إلى أرسطو ومن سوسير إلى هوسرل ، ويمكن الوصول بهذه المتابعة إلى حد هيدجر بعض الأحيان ؛ بل إن هذا الاعتبار يطال في بعد الخطابات الحديثة الأكثر خصوصية وإن لم تصل تلك الخطابات إلى مستوى القضايا الهوسرلية والهيديجرية . إن عرضا من هذا النوع يوجد بنية وضرورة في حالة خفاء نظراً لأسباب وتبعاً لطرائق أحاول تحليلها . وإذا ما تم لذلك العرض الظهور فإن أمر هذا الاكتشاف لن يعود لعمل عبقرى أو لمبادرة خاصة تحصل بفضل شخص ما هنا أو هناك . إنه نتيجة لتحوّل شامل (لا نستطيع وسّمه ب "التاريخية" والعالمية لان ذلك يخلُ بهذه الدلالات نفسها) . إنه تحول يمكن معاينته في حقول محددة كالتشكيل الرياضي والمنطقي واللسانيات والاثنولوجيا والتحليل النفسي والاقتصاد السياسي وفي البيولوجيا والإعلام والبرمجة . . . الخ .

■ يمكننا التمييز في أبحاثك بين معنيين على الأقل للكلمة كتابة :

معنى متداول تتعارض فيه الكتابة (الصوتية) مع الكلام الذي يفترض أن تكون الكتابة تمثيلاً له (لكنك توضح انعدام وجود كتابة صوتية محضة) ؛ ، ومعنى أكثر جذرية يحدد الكتابة في عموميتها ، أي خارج كل ارتباط بما تنعته النظرية الجلسيمائية ب "جوهر التعبير" باعتباره جذراً مشتركاً يمنح الكلام والكتابة وجودهما . فالتعامل مع الكتابة بالمعنى المتداول يشكل إشارة كاشفة للقمع الذي يُمارس على الكتابة الجامعة archi-écriture من حيث هو قمع لم يكن بالإمكان تفاديه

وإن كان من الضروري مسألة ضرورته وأشكاله وقوانينه. إن الكتابة الجامعة تدخل في سلسلة من الأسماء الأخرى: الأثر الجامع *archi-trace*، الشرخ، الإضافة، الخزان والمغايرة *différance* (4). لقد تساءل القراء كثيرا عن *a* المغايرة *différance* فما هو معنى هذا الحرف ؟

□ لست أدري إن كان يعني شيئا أو كان شيئا آخر من نتائج ما تسميه الميتافيزيقيا دليلاً (دال/مدلول). لقد لاحظت أن هذا الحرف يُكتب ويُقرأ بينما لا يمكن سماعه. بدءاً، أنا أتشبث كثيراً بكون هذا الخطاب (خطابنا نحن في هذه اللحظة) حول هذا التحريف أو الاعتداء الخطي والنحوي، يعني إحالة إلى التداخل الصامت للعلامة المكتوبة. إن الصفة المشتقة من فعل خَالَفَ/اختلف *differer* [أي مغاير *different*] والتي قياساً عليها ابتُكرَ هذا الاسم [*différance*] تجمع صنفاً كاملاً من المفاهيم اعتبرها نسقية وغير قابلة للاختزال، يتدخل كل واحد منها - بل تتزايد فعاليتها - في لحظة حاسمة من العمل. تُحيل المغايرة أولاً إلى الحركة (النشطة والساكنة) التي تقوم بفعل الاختلاف، وإحالتها هذه تتم عبر المهلة والتفويض والإرجاء والإحالة والدوران والتأخر وعملية الاختزان. بهذا المعنى فإن الاختلاف لا يكون مسبقاً بالوحدة الأصلية *originäre* الصلبة لإمكانية حاضرة احتفظ بها كما احتفظ بصرفة معينة لوقت لاحق انطلاقاً من حساب أو وعي اقتصادي. فما يجعل الحضور اختلافياً هو بالعكس ما يتم الانطلاق منه لإعلان الحضور أو الرغبة في الحضور من خلال ممثله أو علامته أو أثره ...

■ هل يكون المغايرة بهذا المعنى مفهوماً اقتصادياً؟

□ سأذهب إلى القول إنه مفهوم الاقتصاد نفسه. وبما أنه لا يمكن تصور اقتصاد بدون مغايرة فإنه من الممكن اعتباراً هذا المفهوم البنية الأكثر عموماً للاقتصاد؛ فقط يلزمنا أن نفهم من مفهوم الاقتصاد ذلك شيئاً آخر غير الاقتصاد الكلاسيكي للميتافيزيقيا أو الميتافيزيقيا الكلاسيكية للاقتصاد. إن حركة المغايرة من حيث أنها منتجة للمختلف ومن حيث أنها تَمِيزُ هي:

(4) المقصود هو أن كلمة الاختلاف *difference* المتداولة في الاستعمال الفرنسي تكتب بـ *e*، فيما اصطنع دريدا كلمة *différance* بحرف *a*. لجعل المكتوب غير المنطوق ذا فعالية دلالية وفلسفية ...

ثانياً: الجدر المشترك لكل المتعارضات المفاهيمية التي تشرح لغتنا وتخرقها كالأزواج الميتافيزيقية: محسوس/معقول، حدس/دلالة، طبيعة/ثقافة... حتى نكتفي بهذه الأمثلة. وباعتبارها جذراً مشتركاً فإن المغايرة يكون عنصر المماثل *me* (الذي يلزم تمييزه عن المطابق *l'identique* (s)) الذي تعلن هذه المتعارضات عن نفسها داخله.

ثالثاً: المغايرة أيضاً، إذا صح القول، عملية إنتاج هذه المغايرات وتلك الحركات المميزة للحروف *diacritique* التي ما فتئت اللسانيات (وكل العلوم البنائية التي جعلت منها نموذجاً) الشرط الضروري لكل دلالة ولكل بنية.

إن هذه المغايرات، وكذا العلم الذي يمكن أن يتولد عنها، هي نتائج للمغايرة. فموضع المغايرة ليس السماء أو المنح، وهو ما لا يعني أنها من إنتاج نشاط الذات المتكلمة. من هذا المنظور فإن مفهوم المغايرة ليس مفهومها بنويها، ولا هو ببساطة مفهوم تكويني. إن هذا البديل نفسه سيكون من إنتاج المغايرة نفسها. بل أستطيع أن أزعم، وسنعود لهذه النقطة بالذات، بأنها ليست بكل بساطة مفهوماً...

■ لقد شُدهتُ حين قرأت في بحث سابق هو "القوة والدلالة" كيف أن المغايرة، وإن لم تكن قد منحت بعد هذا الاسم، قد قادتك نحو نيتشه (الذي يربط مفهوم القوة بلا اختزالية المغايرات)، وبعد ذلك نحو فرويد الذي تبين أن التعارضات محكومة لديه باقتصاد المغايرة، وأخيراً - بل ودائماً - نحو هيدجر بالخصوص

□ نعم بالخصوص. لا شيء مما أحاوله يغدو ممكناً بدون الانفتاح الذي تتيحه الاسئلة الهيدجرية، وأيضاً بدون اهتمامي بما يسميه هيدجر المغايرة بين الكائن والكيونة، أي المغايرة الوجودي - اللاهوتي بالشكل الذي لا يزال به لا مفكر الفكر الفلسفي. لكن وبالرغم... مما أدين به هنا لهيدجر، بل لأقل بسبب هذا الدين نفسه، فإني أحاول وضع الاصبع في النص الهيدجري نفسه (الذي لا يختلف عن أي نص آخر من حيث لا تجانسه ولا استمراريته، ومن حيث أنه نص في مستوى قوته الكبرى ونتائج أسئلته) على علامات

٩، كان هيدجر أول من نبه إلى هذا الاختلاف بين المماثل والمطابق: "إن المماثل ليس هو المطابق. فني المطابق ينهار كل اختلاف، أما في المماثل فإن الاختلافات تتبدى". قضايا ١، جاليمار، ١٩٦٨، ص ٢٨٠.

الانتماء إلى الميتافيزيقا أو ما يسميه هيدجر الوجود - اللاهوت* . وقد اعترف هيدجر نفسه أنه اضطر ، وأنا جميعا مضطرون باستمرار ، إلى النهل من المورد التركيبي والمعجمي للغة الميتافيزيقا في اللحظة نفسها التي كان يقوم بتقويض بنائها . فنحن مطالبون إذن بالعمل على اكتشاف هذه المسارب الميتافيزيقية وعلى إعادة التنظيم المستمر والمتجدد لشكل وقضاءات السؤال . من ضمن هذه المسارب التحديد النهائي للاختلاف كاختلاف وجودي فردي أونتيكو-لاهوتي . فهذا التحديد يدولي وبشكل غريب ، حبيس الميتافيزيقا بالرغم من الضرورة والحسم الكبيرين اللذين تتسم بهما المرحلة من فكر هيدجر . في تبعنا لفكر الحقيقة والكيونة هذا إلى منتهاه ، وانطلاقا من حركة نيتشية أكثر منها هيدجرية ، نحن مطالبون بالانفتاح على مغايرة لا تكون محددة في لسان الغرب كاختلاف بين الكائن والكيونة . إن حركة من هذا القبيل تظل مستحيلة بدون شك في وقتنا الراهن ، لكن بالإمكان توضيح شروط بزوغها وتكوُّنها في فكر هيدجر أولا .

رابعا: تأتي المغايرة لا تُعيّن فقط وبدء الاختلاف الوجودي اللاهوتي وإنما تُعيّن امتداد الاختلاف هذا .

■ ألا يفضي الحدُّ *la limite* ، الذي نتحدث عنه لدى هيدجر وكما يبدو أحيانا في اقتراحاتك ، إلى نوع من النزعة الصوتية؟

□ لا يتعلق الأمر فيما يخصني بحدّ معين . وإذا كان الأمر كذلك فإن الحدّ يضمن سلطة ومسارب معينة ، ومن ثم فهو يمتلك قوة لا نظير لها ، لكن يمكن أن نلمس عند هيدجر نوعاً من النزوع الصوتي يؤدي لديه إلى حُظوة للصوت أي إلى " جوهر تعبير " معين كما هو الأمر في فكر الغرب بكامله . إن هذه الحُظوة ذات النتائج الهامة والمنظمة تكشف عن نفسها في الترجيح الدال لمجموعة كبرى من المجازات الصوتية التي تأتي في معرض حديثه عن مسألة الفن (6) والتي تؤدي دائما - ومن خلال نماذج خاضعة لاختيار صارم - إلى

* يتحدّد *onto-theologique* عند هيدجر في تقابله مع *ontico-theologique* ، وهو في حقيقته ليس إلا صدى للاختلاف بين الوجود والموجود ، أي بين الوجودي *ontologique* والموجودي *ontique* .

(6) الإشارة تخص بحث هيدجر: " أصل العمل الفني " (المنشور ضمن مسارب الغابة ، جاليمار ، 1962) خاصة ص 37 و ما بعدها .

تصور الفن "كمجال لنشاط الحقيقة". وإذن فإن التأمل الرائع الذي يكرر من خلاله هيدجر أصل أوجوه الحقيقة لا يخلخل أبدا العلاقة مع اللوغوس والصوت *phone*. وهو ما يفسر كيف أن الفنون كلها، حسب هيدجر، تتعرض في فضاء القصيدة باعتبارها "جوهرًا للفن" (7) وفضاء "اللسان" و"الكلام". "فن العمارة والنحت - يقول هيدجر - لا يولدان أبداً إلا في منفتح القول والتسمية اللذين يحكماهما ويقودانهما". هكذا يتضح الامتياز المعترف به كلاسيًا للقول *diction* والإنشاد، والاحتقار الذي يُخصّص للأدب. يقول هيدجر: "يلزمن تحرير القول من الأدب. الخ."

■ إن هذه الملاحظة الأخيرة تترجم الاهتمام الذي نوليه دوما للاختزالية الكتابة ولفضائيتها "الأدبية". وهنا بالضبط تبدو القراءة الوثيقة لأعمالك مع أعمال مجموعة طيل كيل *Tel quel*.

□ استطيع القول على كل حال بأن رهان البحوث الحالية (8) لهذه المجموعة شأنه شأن كل بحث مماثل، ذواهمية قصوى ولم يُعطَ له وزنه الحقيقي في فرنسا كما أعطي له في الخارج، بل إنه وهذا هو المثير، لم يحظ في الغرب بما حظي به من اهتمام في الشرق*. ولو كان الوقت يسعنا لاستطعنا تحليل ذلك ولتساءلنا بالتالي عما يجعل لا إختزالية الكتابة ومعها تقويض المركزية العقلية يعلنان عن نفسها اليوم في مجال خاص وفي شكل محدد من الممارسة "الأدبية". وأنت تدرك جيداً لم أفضل كتابة هذه الكلمة بين مزدوجتين، لأن أي لبس يلزم رفعه هنا. إن هذه الممارسة الجديدة تفترض قطعة من هذا النوع مع كل ما ربط تاريخ الفنون بتاريخ المتافيزيقا...

■ هل من الممكن تجاوز هذه المتافيزيقا؟ ثم هل بالإمكان وضع مركزية الكتابة في

7، مارتن هيدجر، لماذا الشعراء؟ ضمن نفس المرجع. تصل العلاقة بين الفكر والشعر عند هيدجر إلى درجة يعلن فيها أن "الفكر قصيدة" (ص. 396). وانظر لمزيد من التعمق كتابه: مقاربة هولدرلين والتوجه نحو الكلام.

8، هذه الإشارة محكومة بزمناها. فمجموعة "طيل كيل" التي ضمت في الستينات والسبعينات نخبة من مفكري وكتاب فرنسا (دريدا، بارث، تودوروف، جينيت، صولرس، جان لوي هودوين...) سرعان ما تفسخت في أواسط السبعينات وتوفقت معها المجلة التي كانت تحمل نفس الاسم لتخلفها مجلة اللامتهي *l'infini* بإدارة صولرس نفسه.

* المقصود بالشرق هنا هو اليابان.

مقابل المركزية العقلية؟ هل بالإمكان حصول انتهاك فعلي للانغلاق الميتافيزيقي وما هي إذن شروط خطاب انتهاكي من هذا النوع؟

□ لا نجد لانتهاك إذا ما عتينا بذلك الإقامة البسيطة والمحضة لشيء اسمه ما وراء الميتافيزيقي، وهذا أمر يعود إلى نقطة متعلقة أولاً باللغة والكتابة. تبعاً لذلك فإننا في الاعتداءات وعمليات الانتهاك نتعامل مع سَنَن code له علاقةً وطيدةً مع الميتافيزيقي. إنها علاقة غير قابلة للاختزال، إلى درجة أن كل فعل انتهاكي يسجننا - بفعل هذا الترابط نفسه - داخل الانغلاق. لكن ويفعل العمل الذي يحيط من جوانب متعددة بالحد، يتغير الحقل الداخلي وتنتج بذلك عملية انتهاك لا تقدم نفسها كامر متحقق سلفاً. إننا لا نقيم ابداً في عملية انتهاك ولا نسكن ابداً مكاناً آخر. فالانتهاك يؤكد الوجود الدائم والنشط والفعال للحد. وإذن سيكون "الفكر - الذي - لا يريد - قول - أي - شيء"، الفكر الذي يتجاوز "إرادة القول" (9) و"إرادة الاستماع الذاتي للقول الذاتي" وهوسائلها، والذي يعلن عن نفسه في علم الكتابة، فكراً يقدم نفسه بالنظر إلى ما لا تضمنه ثنائية: الخارج/الداخل. أما التجاوز والانتهاك فسيغدوان في نهاية هذا الاشتغال مفهوميين مشبوهين.

ولذا فانا لم افكر يوماً في ان اقابل بين التمرکز حول الكتابة والتمرکز حول العقل، بل لم افكر عموماً في مقابلة مركز بآخر. فكتابي في علم الكتابة ليس دفاعاً عن علم الكتابة أو تصويراً لمعامله، بل وبدرجة أقل هوليس إحياء لما اعتدنا تسميته بالكتابة. إن المسألة لا تتعلق بأن نعيد للكتابة حقوقها وامتيازها وكرامتها، هذه الكتابة التي اعتبرها افلاطون شيئاً يتيماً ولقيطاً مقابل الكلام الذي جعل منه الابن الشرعي والبار للآب اللُّوجوس (10).

(9) إرادة القول (كما يوضح دريدا ذلك في "الصوت والظاهرة") ترجمة مبررة نظرياً وفلسفياً لbedeuten (دَلّ/يُدلّ) كما يتصورها هوسرل. والدلالة عند هذا الأخير ترتبط أساساً بالقصدية، أي بالرغبة في القول، وبالكلام والصوت كمجال اسمي للمعنى. انظر أيضاً، بخصوص إرادة القول أو القصدية وموقعها من فينومينولوجية هوسرل: الشكل وإرادة القول، المنشور ضمن: "هوامش الفلسفة". وكتاب أفكار Ideas لهوسرل الذي قام بترجمته بول ريكور.

(10) يحيل دريدا هنا إلى بحثه: صيدلية أفلاطون، (منشور ضمن: التشييت) حيث يوضح هذه العلاقة بقوله: "هكذا يتصرف الإلاه - الملك - الذي - يتكلم كاب. هنا يتم تقديم الفارماكون (السم - الدواء - الكتابة) للآب الذي يقوم برفضه واحتقاره وهجره والخط من قيمته. إن الآب يشبه في الكتابة و يراقبها باستمرار"، ص. 86.

فحين نحاول مساءلة هذا المشهد العائلي والتشكيك في المؤديات الاخلاقية وغيرها لهذه الحكاية، فإن أي انقلاب اخلاقي أَوْقَمِي يُعيد للكتابة امتيازها أَوْحَقَهَا في الاولوية سيكون أكبر عمل تحريفي وتافه تقوم به. أظن اني كنت واضحا بما فيه الكفاية بخصوص هذا الموضوع. ففي علم الكتابة عنوان لسؤال يخص ضرورة علم الكتابة كما يخص شروط إمكانه والعمل النقدي الكفيل بتحقيق انفتاح مجاله ورفع كل العواقب الاستمولوجية من أمامه. إلا أنه سؤال يخص أيضا حدود هذا العلم. هذه الحدود التي حظيت بالألحاحي بنفس القدر الذي حظيت به القضايا الأخرى، هي نفس حدود مقولة العلم الكلاسيكية الذي ترتبط مشاريعه ومفاهيمه بشكل أساسي ومنهجي بالميتافيزيقا.

■ في هذا المنحى يلزمنا قراءة علّة نهاية الكتاب وبدء الكتابة الذي أثرته في كتابك في علم الكتابة، والذي لا ينبغي اعتباره تقريراً وضعياً أو سوسولوجياً.

□ ربما كان الأمر كذلك، لكن بشكل ثانوي جداً. ففي هذا البحث أُعطي عن حق مكانة خاصة للتحقيق الوضعي حول التقلبات الحالية لأشكال التواصل، وكذا للبنيات الجديدة التي تختزل بشكل كبير ومنهجي حصة الكلام والكتابة الصوتية والكتاب سواء كان ذلك في مجال التوثيق أو في مجال التحليل الإعلامي. لكننا سنكون جد مخطئين إذا نحن استنتجنا من العنوان التالي: "نهاية الكتاب وبداية الكتابة" موت الكتاب وولادة الكتابة. ففي الصفحة السابقة على هذا العنوان اقترحت تمييزاً بين الانغلاق والنهاية. فما يكون حبيس الانغلاق المحدود واللامحدود له قابلية الاستمرار اللانهائي. وأنا أتمنى ألا يقف القارئ فقط عند هذا العنوان لأنه يعلن تحديداً بأنه لا وجود لنهاية للكتاب أو بداية للكتابة. إن هذا الفصل يوضح فعلياً أن الكتابة لا تبدأ، إذ انطلاقاً منها - إذا أبحنا لانفسنا هذا التعبير - تتم خلخلة مسألة البحث عن بدء أصلي، وعن بداية مطلقة أو عن أصل. فالكتابة لا يمكنها أن تبدأ بقدر ما لا يمكن للكتاب أن ينتهي.

■ هذه الحركة الموسومة باللاتناهي يمكن اعتبارها المجاز المتأني لبحوثك.

لا إنني أحاول أن اكتب داخل الفضاء الذي تنطرح فيه مسألة القول وإرادة القول أو القصيدة. أحاول أن اكتب السؤال التالي: ما هي القصيدة؟. يكون من الضروري

إذن، وفي فضاء من هذا القبيل، ألا يكون للكتابة حرفياً أي معنى خصوصاً إذا كانت محمولة على هدي ذاك السؤال. إنها فقط تحاول مع نفسها، تمتد وتحاول أن تقف على نقطة انهيار القصدية. وأن نغامر في عدم - إرادة - قول - أي - شيء معناه الدخول في اللعبة؛ أي أولاً في لعبة المغايرة التي تقوم على كون أية كلمة أو مفهوم أو ملفوظ معقول سيكون عاجزاً عن تلخيص الحركة الفضائية النصية للاختلافات انطلاقاً من الحضور اللاهوتي لمركز ما. عن ذلك تنتج مثلاً سلسلة الاستبدالات التي جاءت في حديثك منذ برهة (الأثر الجامع، الكتابة الجامعة الخزان، الحذر، الشرخ، التمثيل، الإضافة، المغايرة، واللائحة مفتوحة) والتي ليست عمليات كنائية لا تمس الهويات المفاهيمية والمثليات المدلولة وتكتفي بترجمتها فحسب. في هذا المنحى بالضبط أغامر بعدم - قول - أي - شيء - يكون فقط قابلاً للسماع ويكون بالتالي متعلقاً بالفهم.

إن في التشابك مع مئات الصفحات من كتابة هي في نفس الوقت ملحاحة، راقصة وإضمارية؛ كتابة تقوم كما رأيت بطبع شطباتها ويحمل داخلها كل مفهوم في سلسلة لامتناهية من الاختلافات؛ كتابة تحيط نفسها وتلفها بكومة من الحذر والاحالات والهوامش والاستشهادات والتوليفات والملحقات؛ في ذلك التشابك لا يكون "عدم إرادة قول أي شيء" هذا - وأنت معي في ذلك - تمريناً مريحاً كل الراحة. ★

السِّمِّيُولُوجِيَا وَعِلْمُ الْكِتَابَةِ*

حوار مع جوليا كريستيفا

■ تنهض السِّمِّيُولُوجِيَا فِي بنائها الحالي على نموذج الدليل وما يرتبط به كالتواصل والبنية. فما هي إذن الحدود "العقل مركزية" والعرق مركزية لهذه النماذج وكيف يمكن أن تشكل قاعدة لدلالة تظمح إلى الانفلات من قبضة الميتافيزيقا؟ □ إن كل الحركات تكون هنا بالضرورة ملتبسة. وحتى إذا نحن افترضنا - وهو ما لا أؤمن به - أنه بالإمكان الانفلات يوما وببساطة من قبضة الميتافيزيقا فإن مفهوم الدليل سيكون في هذا المسار عائقا وتقدما في الآن نفسه. فإذا كان مفهوم الدليل ذا جذور ومؤديات تنتمي بصفة كاملة إلى مجال الميتافيزيقا وتتضامن بشكل منهجي مع اللاهوت الرواقي والقروسطي، فإنه قد خضع لتحويل واشتغال (كان الدليل موضوعه وأداته في الآن نفسه) كان لهما عليه آثار محررة: de-limitants فقد مكنت هاتان العمليتان من نقد الانتماء الميتافيزيقي للدليل ومن رسم وتوسيع حدود النسق الذي وُلد فيه وأصبح يخدمه، كما مكنت من انتشاله إلى حد ما من منبته الأصلي. وما يلزم الآن هو السير بهذا العمل إلى أبعد نقطة ممكنة. إلا أننا لن نعدم أبدا، وفي لحظة معينة، مواجهة الحدود ذات الطبيعة

العقل مركزية و " العرق مركزية " لذاك النموذج . وفي تلك اللحظة بالذات يجب التخلص من مفهوم الدليل . إلا أنه من الصعب تعيين هذه اللحظة لأنها ليست لحظة خالصة من كل تأثير ميتافيزيقي . ولكي تكون كذلك يلزم أن تكون كل الإمدادات الاستكشافية والنقدية لمفهوم الدليل قد استنفدت على كل الأصعدة والسياقات الممكنة . لكن ما لا يمكن أبدا تفاديه هو وجود تطورات لا متكافئة (وهوشيء حتمي) وضرورات تفرضها بعض المقامات ، تجعل من الرجوع إلى نموذج نحن على علم بأنه يشتغل كعائق (وفي مرحلة متقدمة من البحث) شيئا ضروريا من الناحية الاستراتيجية . وحتى لا نكتفي بمثال واحد ، نستطيع أن ندلل على أن سيميولوجيا النمط السوسيري وقد لعبت دورا مزدوجا ، إذ كان لها من جهة دور نقدي ذو طابع حاسم :

١) فقد أثبتت ، ضدا على التقليد الجاري آنذاك ، أن المدلول غير قابل إطلاقا لأن ينفصل عن الدال وبأنهما معا يشكلان وجهي إنتاج واحد ووحيد . وقد عبر سوسير بوضوح عن رفضه لمطابقة هذه الثنائية أو هذه الوحدة ذات الوجهين مع ثنائية الجسد والروح كما جرت العادة من قبل . وفي هذا الصدد يقول سوسير : " غالباً ما تمّ الاعتيادُ على مقارنة هذه الوحدة ذات الوجهين مع وحدة الشخص الانساني المتكون من جسد وروح . ولا بد من القول بأن التشبيه هنا قليل الإقناع " (١) .

٢) لقد ساهم سوسير ، وبقوة ، في تحويل مفهوم الدليل الذي استقاه من التراث الميتافيزيقي وتوظيفه ضد هذا التراث نفسه . وقد تم ذلك عبر التأكيد على الطابع الاختلافي والصوري للاشتغال السيميولوجي ومن خلال توضيح " استحالة انتماء الصوت نفسه ، وهو العنصر المادي ، إلى اللسان " ، وكذا عبر اعتبار الدال اللساني " في جوهره غير ذي طبيعة صوتية " كما وضع سوسير ، وفي نفس الوقت ، ضرورة نزع الطابع الجوهري من المضمون المدلول وعن " جوهر التعبير " (الذي ليس إطلاقا وبامتياز الطابع الصوتي) ومن ثم جعل اللسانيات جزءاً فقط من السيميولوجيا العامة .

ورغم ذلك ، لم يكن لسوسير سوى تكريس التقليد ، خصوصا وأنه استمر في

١) تحليل الاستشهادات المأخوذة من دروس في اللسانيات العامة إلى طبعة دار بايو ، باريس ، 1971 (المترجم) .

خدمة مفهوم الدليل . فنحن لانستطيع سواءً أعلق الأمر بهذا المفهوم أم بآخر غيره ، ان نقوم باستخدامه استخداماً مطلقاً الجدة والعرفية . ذلك أننا مضطرون للتقبل اللانقدي على الأقل لجانب من المؤديات التي يحملها في نسقه .

هناك على الأقل لحظة اضطّر فيها سوسير إلى التخلي عن استخلاص النتائج الضرورية من مفهوم الدليل ، وهذه اللحظة ، غير المجانية طبعاً ، هي التي يستسلم فيها لاستخدام كلمة " دليل " لأنه لم يجد بديلاً عن ذلك . فبعد أن قدم مبرراته لاستعمال كلمتي " الدال " و " المدلول " كتب سوسور : " أما بخصوص الدليل ، فإن اكتفاءً به ناتج عن عدم وجود ما نعوضه به . فاللغة الاستعمالية لا تقترح علينا أي مفهوم مغاير " . ونحن نرى كيف أن سوسور لم يكن له أن يتصلّ من توظيف الدليل بعد أن قام باقتراح ثنائية الدال والمدلول . والحال أن " اللغة الاستعمالية " ليست بريئة أو محايدة ، إذ هي لغة الميتافيزيقا الغريبة التي تحمل ليس فقط عدداً مهماً من فرضياتها المختلفة وإنما أيضاً فرضيات مترابطة ومكثفة بشكل نسقي^١ . إن ملاحظة ذلك تدفعنا إلى البحث عن آثار تلك الفرضيات داخل خطاب سوسير . ولهذا ، من جهة ثانية :

(١) فإن الاحتفاظ بالتمييز الراسخ - من حيث هو تمييز جوهري وحقوقى - بين الدال *signans* والمدلول *signatum* وكذا المعادلة بين هذا الأخير والمفهوم⁽²⁾ يفتح أمامنا مشروعية تفكير مفهوم مدلول في ذاته في حضوره البسيط إلى الفكر وفي استقلاله عن اللسان ، أي في ارتباط مع نظام من الدوال . إن سوسير حين ترك لنا هذه الإمكانية مفتوحة (وهي إمكانية انفتاح موجودة في أصل ثنائية الدال / المدلول ، أي في أصل الدليل) فهو يناقض المكتسبات النقدية التي تحدثنا عنها منذ قليل . إنه بذلك يمنح المشروعية للفرضيات الكلاسية التي

١ / أي المعقول *intelligible* . فقد اعتمد اختلاف الدال عن المدلول دائماً على إعادة إنتاج الاختلاف بين المحسوس و المعقول ، و هو شيء لم يفتّر في القرن العشرين عنه في الأصول الرواقية للدليل . لندارسي الفكر البنيوي المعاصر بوضوح ما يلي :

اللغة نسن من الأدلة و اللسانيات جزء لا ينجزأ من علم الأدلة أي السيميائيات (أو بلغة سوسير السيميولوجيا) . فالنميرف الغروسطي الذي أحياء عصرنا ، و هو شيء موح ، لا يزال دائماً الخصوبة و الصلاحية . هكذا يكمن الطابع المكون لكل دليل عموماً و لكل دليل لسانی تخصيصاً في خصيصته المزدوجة ، أي أن كل وحدة لسانیة تتكون من جزئين و تملك طابعين ، الأول محسوس و الثاني معقول ، أي *signans* (دالّ سوسير) من جهة و *signatum* (المدلول) من جهة ثانية (رومان باكيون ، أبحاث في اللسانيات العامة ، دار مينيولي للنشر ، 1968 ، ص 162) .

اقتُرحتُ تسميتها بـ "المدلول المتعالي" الذي لن يحيل في ذاته، أي في جوهره إلى أي دالٍّ، بل سيتجاوز سلسلة الأدلة ولن يتم له الاشتغال أبداً -وفي أية لحظة- كدال. لكن وبمجرد ما نشك في وجود مدلول متعال من هذا النوع، وحين نعترف بأن كل مدلول هو أيضاً في موقع الدال (3) فإن التمييز بين المدلول والدال (أي الدليل) يصبح إشكالياً من جذره. طبعاً يجب القيام بهذه العملية بحذر كامل، نظراً:

(أ) لأنها مطالبة بالمرور بعملية عويصة هي تفكيك بناء تاريخ الميتافيزيقا الذي فرض ولن يفتأ يفرض على كل سيميولوجي هذا البحث الأساسي عن "مدلول متعال" وعن مفهوم مُستقل للسان. إن هذا البحث لم يتم فرضه من الخارج عن طريق شيء اسمه "الفلسفة"، وإنما من خلال كل ما يربط لساننا وثقافتنا و"نظام فكرنا" بتاريخ ونسق الميتافيزيقا.

(ب) لا يتعلق الأمر أيضاً، وبالمقابل، بالخلط بين الدال والمدلول على كل المستويات. فإذا كانت هذه الثنائية أو هذا الاختلاف عاجزاً عن أن يكون جذرياً فهذا لا يمنع من الاشتغال، ومن أن يكون ضرورياً في حدود معينة قد تكون حدوداً واسعة. فبدون تلك الثنائية لن تكون الترجمة، مثلاً، ممكنة. لقد تكونت موضوعة المدلول المتعالي بالفعل في أفق عملية ترجمة خالصة، شفافة ووحيدة الجانب مطلقاً. ففي الحدود التي تكون أوتبدو فيها الترجمة ممكنة، تقوم بممارسة الاختلاف بين الدال والمدلول. لكن إذا كان هذا الاختلاف غير خالص فالترجمة لا تكون بدورها أكثر خلوصاً. ولذا ينبغي إبدال مقولة الترجمة بمقولة التحويل transformation (4) من حيث هو تحويلٌ منظمٌ للغة من طرف لغة أخرى ولنص معين من طرف نص آخر. لن نواجه كما لم نواجه أبداً عملية نقل transport لمدلولات خالصة (من لسان لآخر أو داخل لسان واحد) تتركها الأداة الدالة - أو الممر الدال - عذراء لم يمسها التحوّل.

(2) لقد اضطر سوسير، ولأسباب ميتافيزيقية أساساً، إلى منح الخطوة للكلام أي

(3) انظر: في علم الكتابة، ص 106 و 108. (م. ف).

(4) يبدو أن ج. دريدا غير مستقر على تسمية ملائمة: ترجمة أو تحويل؟ فهو يعود في نص لاحق إلى إعادة الاعتبار لمفهوم "الترجمة". انظر بهذا الخصوص: أذن الآخر، نصوص و مناقشات مع جاك دريدا، منشورات V.L.P، كندا، 1982، ص 128. (المترجم).

لكل ما يربط الكلام إلى الجوهر الصوتي *phone*، بالرغم من اعترافه بضرورة وضع المادة الصوتية بين قوسين. يقول سوسير: "إن جوهر اللسان، كما سنرى، لا علاقة له بالطابع الصوتي للدليل اللساني"، وإيضاً: الدال اللساني ليس إطلاقاً، وفي جوهره، ذا طبيعة صوتية". يتحدث سوسير أيضاً عن "الترابط الطبيعي" بين الفكر والصوت *voix* وبين المعنى والصوت *son*، بل يذهب كذلك إلى الحديث عن "الفكر - الصوت" وقد حاولت في مقام آخر توضيح ما لهذه الحركة من طابع تقليدي ولاي ضرورات هي خاضعة. على كل حال، وفي تعارض مع أهم حافز نقدي في دروس في اللسانيات العامة، عمل سوسير على جعل اللسانيات النموذج المنظم للسيمولوجيا العامة، في الوقت الذي كان من المنتظر فيه ألا تكون اللسانيات، على الأقل نظرياً، سوى جزء مكون لها. هكذاتم تحويل اعتبارية الدليل عن مناحي خصوصيتها (أي الشككنة) نحو غائية تراتبية: "يمكننا القول إذن - يقول سوسير - بأن الأدلة الكاملة الاعتبارية تحقق أفضل من غيرها المثال الأعلى للعملية السيمولوجية، لهذا فإن أعقد الأشكال التعبيرية وأكثرها انتشاراً، هو الأكثر تخصيصاً. وبهذا المعنى فاللسانيات تمتلك إمكانية أن تصبح نموذج كل سيمولوجيا، بالرغم من أن اللسان ليس إلا نظاماً خاصاً منها" إننا نعثر على نفس المفاهيم لدى هيجل. فالتناقض بين لحظتي "الدروس ... هذه موسومة أيضاً بما يعترف به سوسير في مقام آخر ومفاده أن "اللغة الشفوية ليست هي الطبيعية بالنسبة للإنسان، وإنما قدرته على تكوين اللسان باعتباره نظاماً من الأدلة المتميزة ... وهذا ما يشير إلى إمكانية السنن والتمفصل في استقلال عن المادة الصوتية مثلاً.

٣) يحمل مفهوم الدليل (الدال / المدلول) في ذاته ضرورة تفضيل المادة الصوتية ومنح السيمولوجيا دور "السيادة". فالصوت بالفعل هو الماهية الدالة التي تظهر للوعي باعتبارها الأكثر اتحاداً مع فكر المدلول. من هذا المنظور يكون الصوت *voix* هو الوعي ذاته. فحين أتكلم فانا أكون واعياً بكوني حاضراً فيما أفكر فيه، لكن أيضاً أكون على وعي بأنني احتفظ على مقربة من تفكيري ومن "المفهوم" بدلاً لا علاقة له بالعالم وأستطيع سماعه بمجرد ما اتلفظ به، دال يبدو ملتصقا بعفويتي الحرة والخالصة ولا يطالب بأية أداة ولا بأي إضافة لها مصدرها في العالم. هنا لا يتعلق الأمر فقط بعلاقة وحدة، لكن بيدوان الدال، داخل هذا التمازج، يتمحي أو يصبح شفافاً كي يترك المفهوم (المدلول) يقدم نفسه كما

هو بدون أية إحالة سوى إلى حضوره هو، تبدو لذلك برانية الدال خاضعة للاختزال. هذه التجربة هي بالطبع خُدعة، إلا أنها خدعة ينهض على ضرورتها نظامُ بنية وعصرٍ بكامله؛ إذ بناءً على مكتسبات هذا العصر قامت سيميولوجيا تمتح جهازها المفاهيمي ونظامَ فرضياتها من الإرث الميتافيزيقي الممتد من أفلاطون إلى هوسرل مروراً بآرسطو وروسو و هيغل...

(٤) إن اختزال برانية الدليل يعني إلغاء كل ما ليس ذا طبيعة نفسية في الممارسة السيميولوجية، والحال أن ما يعطي مشروعية ما لاقتراح سوسير القائل بأن الدليل اللساني وحدة نفسية ذات وجهين هو بالضبط الخطوة التي يتمتع بها الدليل الصوتي وإذا نحن اعتبرنا أن هذا الاقتراح يحمل في ذاته معنى علمياً صارماً فإنني لا أدري كيف يمكن مده ليشمل الأدلة كلها أكانت صوتية - لسانية أم لا، إلا إذا جعلنا من الدليل سيداً للأدلة الأخرى. انطلاقاً من ذلك لا أرى كيف يمكن إدخال السيميولوجيا العامة في علم النفس، وهو الشيء الذي يقوم به سوسير: "من الممكن تصور إمكانية علم يهتم بدراسة حياة الأدلة داخل المجتمع. وهذا العلم سيكون جزءاً من علم النفس الاجتماعي وبالتالي من علم النفس العام، وسيحمل اسم السيميولوجيا أو علم الدليل (من الإغريقية semeion: دليل). وستكون مهمتها إنشاء معرفة حول طبيعة الأدلة والقوانين التي تحكمها. وبما أنها لم تخرج للوجود بعد، فلا نستطيع التكهن بصورتها، إلا أنها تملك حق الوجود لأن مكانها محدد سلفاً. أما اللسانيات فليست سوى جزء من هذا العلم الشامل، إذ القوانين التي ستكتشفها السيميولوجيا قابلة للتطبيق على اللسانيات. وبذا ستجد هذه الأخيرة نفسها مرتبطةً بميدان محدد من مجموع ميادين الفعل الإنساني. ويعود لعالم النفس تعيين المكان المحدد والدقيق للسيميولوجيا".

طبعاً لا يقف اللسانيون والسيميائيون الحديثون عند حدود النزعة انسيكولوجية السوسيرية. لقد قامت مدرسة كوبنهاجن وكل الاتجاهات الأمريكية بإعلان نقدها لها. لكن تركيزي على سوسير لا يعود فقط إلى كون منتقديه يعتبرونه مؤسس السيميولوجيا العامة ويمتحنون منه جل مفاهيمهم، وإنما أيضاً وبالاخصيص إلى أننا لا يمكن أن نقصر نقدنا على الاستعمال "السيكولوجي" لمفهوم الدليل فالمنزع السيكولوجي لا يكمن في الاستخدام الخاطيء لمفهوم جيد، إنه من صميم مفهوم الدليل نفسه وفي الشكل الملتبس

الذي تحدثنا عنه في البداية . إن هذا الالتباس يهيمن على نموذج الدليل ويسم بالتالي المشروع " السيمولوجي " نفسه ومعه الكلية العضوية لجميع مفاهيمه ، وبالأخص منها مفهوم التواصل ، الذي يعني الإرسال المُكَلَّفَ بتمرير هوية موضوع مدلول بين ذات وأخرى ، وكذا تمرير معنى أو مفهوم يكونان جوهريا غير مرتبطين بضرورة التمرير هذه وبعمليتها الدالة . يفترض التواصلُ ذاتاً (تكون هويتها وحضورها سابقين على العملية التواصلية) وموضوعات (مفاهيم مدلولية ومعنى مفكر فيه لا يحق للتمرير التواصلية أن يشكلها أو يحوّلها) : أي وصل ج ب : ب ، فالمرسل يوصل من خلال الدليل شيئاً لمتلقٍ معين . . . الخ . أما مفهوم البنية (s) الذي أثرته أيضاً فهو بالتأكيد أكثر غموضاً ، إذ كل شيء يتعلق بالعمل الذي نكلفه به . فهو مثله في ذلك مثل مفهومي الدليل والسيمولوجيا يكرس ويكسر الوثوق العرق مركزي والعقل مركزي . ونحن في اللحظة الراهنة عاجزون ، بل لا نملك الإمكانيات اللازمة للتخلي عن هذه المفاهيم . والمطلوب هو بالتأكيد القيام داخل السيمولوجيا ، بتحويل المفاهيم وتنقيتها وردّها ضد فرضياتها ، أي إعادة وضعها في سلاسل جديدة وتغيير أرضية العمل تدريجياً كي يتم إنتاجُ مظهرات جديدة . أنا لا أومن بالقطيعة الحاسمة أي بـ"خُدّانية" القطيعة الإستمولوجية "كما هوشائع حالياً . فالقطائع تندمج دائماً وضرورة في نسيج قديم يلزم عدم التوقف عن الاستمرار في تفكيكه . إن هذه الاستمرارية ليست عَرَضاً أو ظرفاً خاصاً ، إنها ذات طابع جوهري ومنهجي ونظري . وهذا لا يحوّل الضرورة والأهمية النسبية لبعض القطائع كما لا يستبعد ظهورَ وتعيينَ بنياتٍ جديدة .

■ ماذا تعني بالحرف gramme "كبنية جديدة للأحضور" ؟ ما الكتابة كـ "اختلاف" ؟
ما القطيعة الناتجة عن هذه المفاهيم بالعلاقة مع المفاهيم المركزية للسيمولوجيا والدليل (الصوتي) والبنية ؟ كيف تعوض مقولة النص في علم الكتابة الملفوظ باعتباره مقولة لسانية و سيمولوجية ؟

١٩ ، ناقش دريدا مفهوم البنية على الأخص في بحثه : "القوة و الدلالة" ، و "البنية و اللعبة و الدليل" من كتابه **الكتابة و الاختلاف** . و النص الثاني مترجم إلى اللغة العربية ، بدوّه ، من طرف محمد البكري ، الثقافة الجديدة (الطبعة) ، ع ١١ ، ١٩٧٨ . (المترجم) .

□ لقد سار اختزال الكتابة، ومعه اختزالُ برانية الدال، جنباً إلى جنب مع مركزية الصوت واللوجوس. ونحن على علم كيف قام سوسير من خلال عملية تقليدية اتبع فيها أفلاطون وأرسطو وروسو وهيجل وهوسرل، بطرد الكتابة من حقل اللسانيات (ومن ثم من حقل اللسان والكلام) باعتبارها ظاهرة تمثيل خارجية، وخطيرة وغير نافعة في الآن نفسه. في هذا الصدد يقول سوسير: "لا يتحدد الموضوعُ اللسانيُّ تركيباً من الكلمة المكتوبة والكلمة الشفوية، وذلك أن هذه الأخيرة تشكل لوحدها هذا الموضوع"، ويقول: "إن الكتابة غريبةٌ عن النسق الداخلي للسان"، ليضيف: "تخجب الكتابةُ رؤيةَ اللسان: إنها ليست لباساً له وإنما لباس تنكّر". إن العلاقة بين الكتابة واللسان "سطحية" و"اصطناعية". إذ "بلعبة غريبة" تغتصب الكتابة الدورَ الرئيسي، هي التي كان يلزمها أن تظل مجرد "صورة" للسان ف "تقلب بذلك العلاقة الطبيعية بينهما". إن الكتابة "فخٌ" و"فعلها" "شهوانيٌّ" و"طاغٍ"، أما مساوئها فبشاعات وحالات تشوّه ومسحٍ "ينبغي على اللسانيات وضعها في مقصورة خاصة" ... الخ.

طبعاً إن هذه النظرة التمثيلية للكتابة ("اللغة والكتابة نسقان متمايزان، وعلّة وجود الثاني هي تمثيل الأول") ترتبط بممارسة الكتابة الصوتية - الهجائية التي يعترف سوسير بأنه "يقصر" دراسته عليها. وبالفعل يبدو أن الكتابة الهجائية تمثل الكلام وتنمحي أمامه. ونحن نستطيع في الحقيقة أن نوضح، كما حاولت ذلك بأنه لا وجود لكتابة صوتية خالصة، وبأن المنزع الصوتي ليس نتيجة لممارسة التهجي داخل ثقافة معينة بمقدار ما هو تمثيل لتجربة أخلاقية أوقيمية لهذه الممارسة. فالكتابة مطالبة بالإنحاء أمام كمال الكلمة الحية الممثلة خير تمثيل في شفافية كتابتها والحاضرة بشكل مباشر للذات المتكلمة وللذات المتلقية لمعناها والمضمونها ولقيمتها.

وإذا نحن تركنا الاختصار على نموذج الكتابة الصوتية، الذي لا يحظى بالأفضلية إلا لأننا متمركزون حول الصوت، وإذا نحن استوعبنا واقع عدم وجود كتابة صوتية خالصة (نظراً للتباعد الضروري بين الأدلة ونظراً للتقطيع وال فراغات والاختلافات اللازمة لاشتغال الوحدات الخطية graphemes . . . الخ.)، فإن المنطق العقل مركزي والصوت مركزي يغدو إشكالياً. إن هذا التحرير يظل لازماً إذا نحن أردنا، وبشيء من الانسجام، أن نأخذ بعين الاعتبار مبدأ الاختلاف بالشكل الذي يذكره به سوسير نفسه. فهذا المبدأ لا يملّي علينا

فقط تفضيل مادة (المادة الصوتية التي تُدعى أيضاً المادة الزمنية) وطرُدُ أخرى (هي هنا المادة الخطية المسماة أيضاً بالمادة الفضائية). وإنما أيضاً اعتبار كلِّ عملية دلالة لعبة صورية من الاختلافات أي من الآثار.

لماذا قلنا لعبة صورية من الاختلافات والآثار؟ وباي حق نعيد إدماج الخطي grammatique في اللسان، في الوقت الذي أزيحت فيه كل مادة، صوتية كانت أم خطية أم غيرها؟ لا يتعلق الأمر هنا طبعاً بتوظيف مفهوم الكتابة نفسه والقيام ببساطة بقلب اللاتوازي الذي شككنا فيه، بل الأمر يتعلق بإنتاج مفهوم جديد للكتابة نستطيع تسميته حرفاً gramme أو اختلافاً. أما لعبة الاختلافات فتتطلب تركيبات وإحالات تمنع أن يكون أيُّ عنصرٍ بسيط، في أية لحظة وباي شكل من الأشكال، حاضراً لذاته وفي ذاته. وسواء كان الأمر متعلقاً بالخطاب الشفوي أو المكتوب فإن أي عنصر لا يمكنه أن يشتغل كدليل دون الإحالة على عنصر آخر لا يكون هو نفسه حاضراً حضوراً بسيطاً. هذا التسلسل يجعل من كل عنصر "وحدة صوتية كان أو خطية" متكوناً انطلاقاً مما يوجد فيه من العناصر الأخرى من السلسلة والنسق. إن هذا التسلسل والنسيج هو النص الذي لا ينتج نفسه إلا من خلال تحويل نص آخر. ففي العناصر والنسق لا شيء يكون أبداً عدماً أو حضوراً وغياباً بسيطاً، إذ لا وجود كلية إلا للاختلافات وآثار الآثار. إن الحرف يكون إذن المفهوم الأكثر شمولية للسيميولوجيا التي تغدو علم كتابة (جراماً تولوجياً)، وسيكون من ثم ملائماً ليس فقط لحقل الكتابة بمعناه الضيق والكلاسي ولكن أيضاً لحقل اللسانيات. فهذا المفهوم إذا تم وضعه داخل سياق تاويلي (ذلك لأنه كباقي المفاهيم الأخرى ليس دالاً بذاته ولا مكتفياً بذاته) سيصبح ذا أهمية قصوى. تكمن هذه الأهمية في كونه سيُوقف مبدئياً المنزع الصوتي للدليل ويعمل على خلق توازنها الفعلي وذلك عبر تحرير كل الحقل العلمي لـ "المادة الخطية" (أعني تاريخ ونسق الكتابات خارج المجال الغربي) والتي تُركت رغم أهميتها في العتمة والدونية.

إن الحرف باعتباراه مغايرة، وبنية وحركة لا يتركنا إطلاقاً نفكره انطلاقاً من التعارض حضور / غياب. فالمغايرة هو اللعبة المنهجية للاختلافات وآثار الاختلافات وللتباعد الفضائي الذي يجعل العناصر يحيل الواحد منها إلى الآخر.

التباعد الفضائي هو الانتاج السكوني والنشط في آن واحد (والمغايرة تشير إلى هذه الحيرة أمام النشاط والسكون، وهوما يجعلها تتصل من قصدية هذه الثنائية وتوزيعيتها) لفراغات الفاصل الذي بدوره لن تستطيع الكلمات المليئة (بالمعنى) أن تكون دالة وبالتالي أن تشتغل. إنه أيضا صيرورة فضائية للسلسلة الشفوية ذات الطابع الزمني الخطي. وحدها هذه الصيرورة الفضائية تجعل من الكتابة ومن كل تلاقٍ بين الكلام والكتابة، وكذا من كل انتقال من الواحد إلى الآخر، ممكناً.

إن النشاط أو الإنتاجية التي توحى بها المغايرة تحيل إلى الحركة التوليدية داخل لعبة الاختلافات. فهذه الأخيرة ليست وحياً نزل من السماء وليست متممة بشكل لا رجعة فيه إلى نسق مغلق أو إلى بنية ساكنة تستطيع أية عملية تزامنية أن تستنزفها. الاختلافات نتاج تحولات، ومن هذا المنظور فإن موضوع المغايرة لا يوائم الحافز الساكن والتزامني والتصنيفي واللاتاريخي... الذي ينهض عليه مفهوم البنية. فهذا الحافز كما هو معروف لا يتنظم لوحده مفهوم البنية وعملية إنتاج الاختلافات، أي المغايرة، ليست لابنوية: فهي تنتج تحولات منتظمة ومنهجية تستطيع إلى حد ما إنشاء علم بنائي *science structurale*. إن مفهوم المغايرة يتطور أيضا الضرورات المبدئية الأكثر مشروعية للبنوية (6).

فاللسان إذن، وكل شفرة سيميائية عموماً (وهوما يسميه سوسير بـ "التصنيفات") نتائج وآثار، لكن علته لا تكمن في ذات أو ماهية أو كائن يكون حاضراً في مكان ما ومنفلاً من حركة المغايرة. وبما أنه لا وجود لحضور خارج وقبل المغايرة فبإمكاننا أن نضفي على نظام الأدلة عموماً ما يقوله سوسير بخصوص اللسان: "اللسان ضروري لكي تصبح الكلمة معقولة ونُفَضِّي بنتائجها إلا أن هذه الأخيرة ضرورية بدورها كي يتأسس اللسان. إن الكلام باعتباره حدثاً سابقاً تاريخياً وأبداً". هناك إذن دائرة، ذلك أننا إذا ميزنا بحزم بين اللسان والكلام وبين السنن والرسالة والخطاطة والاستعمال... الخ وإذا أردنا مع ذلك إعطاء الحق لكل منهما فإننا لن نعرف عموماً من أيها نبدأ: من اللسان أم

6، في "القوة والدلالة" يناقش دريدا كتاب جان روسيه Jean Rousset: الشكل والدلالة، ومن خلاله الفرضيات التي تظل البنوية من خلالها مشدودة إلى التقليد الفكري للغرب، وكذا التناقضات الداخلية للتحليل البنوي عامة. و يُجمل دريدا الوعي الشقي للبنوية بقوله: "تعيش البنوية داخل وعلى الاختلاف بين ما نذرت نفسها له وبين المتحقق فعلاً". الكتابة والاختلاف، ص 44. (الترجم)

من الكلام؟ ينبغي علينا إذن قبل إقامة أي فصل بين اللسان والكلام والشفرة والرسالة . (مع كل ما يستتبع ذلك) قبول إنتاج نسقي للاختلافات أي قبول إنتاج نسق من الاختلافات (أعني المغايرة) يمكننا مستقبلاً، عبر نتائجه وانطلاقاً من حوافز محددة، من إقامة لسانيات للسان وأخرى للكلام . . . الخ .

لا شيء ولا كائن حصر وغير اختلافي يسبق إذن المغايرة والتباعد . ليس هنالك من ذات تكون مساعدة أوسيدة للمغايرة إليها يمكن أن تنتمي وبشكل اختباري . لهذا يُذكر في كلمة المغايرة *différance* أيضاً بأن التباعد الفضائي هو تأجيل ومداورة ومهلة من أجلها يتم دائماً اختلاف الحدس والإدراك والاستهلاك، أو باختصار اختلاف العلاقة مع الذات والإحالة إلى واقع حاضر وإلى كائن *tant*، معين . إن اختلافاً كهذا يتم تبعاً لمبدأ اختلاف نفسه، الذي يفرض ألا يشتغل أي عنصر أو يدل، وألا يأخذ معنى أو يمنحه إلا في حالة إلى عنصر سابق أو لاحق، وذلك تبعاً لاقتصاد خاص بالآثار *traces* . إن الطابع الاقتصادي للمغايرة هذا، وهو يلجأ إلى أعمال حساب لا واعٍ داخل حقل قوى معين، يظل مرتبطاً ارتباطاً حميماً بالطابع السيباني . إنه يؤكد أن الذات المتكلمة والواعية هي أولاً رهينة الاختلافات وحركة المغايرة، ونها لا تتشكل في المغايرة إلا بانقسامها وبتباعدها الفضائي وب "تأجيلها" واختلافها، وأن "اللسان الذي لا يتألف إلا من الاختلافات - كما يقول سوسير - ليس وظيفة للذات المتكلمة"، إن كل المتعارضات الميتافيزيقية تجد في حضور الحاضر مرجعاً لها وتأخذ من ثم شكل هوية الذات الحاضرة في كل العمليات، والحاضرة في كل أعراضها وأحداثها، والحاضرة لذاتها في "كلمتها الحية"، وفي ملفوظاتها، وفي الموضوعات والأفعال الخصرة في لغتها . . . الخ . وفي اللحظة التي يتدخل فيها مفهوم الاختلاف، ومعه السلسلة التي تربط به، فإن كل المتعارضات المفاهيمية للميتافيزيقا (دال / مدلول، محسوس / معقول، كتابة / كلام، كلام / لسان، تعاقب / تزامن، فضاء / زمن، سكون / نشاط . . . الخ .)، تصبح لاغية . إنها متعارضات تهدف كلها في لحظة أوفي أخرى إلى إلحاق حركة المغايرة بحضور قيمة أو معنى يكون سابقاً على المغايرة وأكثر أصالة منها، يتجاوزها ويتحكم في آخر المطاف فيها . إنه ما أسميناه من قبل حضور "المدلول المتعالي" .

■ يدعي البعض أن مفهوم المعنى في السيميائيات* يختلف اختلافاً عن مفهوم "المعنى" الفينومينولوجي. لكن رغم ذلك ما نوع التواطؤ الذي يربط بينهما، وإلى أي حد يظل المشروع السيميولوجي محصوراً داخل نطاق الميتافيزيقا؟

□ صحيح أن امتداد المعنى كمفهوم فينومينولوجي يبدو أكثر اتساعاً وأقل تحديداً؛ بل إنه من الصعب أن نتعرف له على حدود، إذ أن كل تجربة هي تجربة للمعنى (sinn). فكل ما يتبدى للوعي وكل ما يوجد بالنسبة للوعي هو عموماً معنى. فالمعنى هو ظاهرة *phenomenali-* الظاهرة. لقد كان هوسرل في كتابه "أبحاث منطقية" يرفض تمييز فريغ Frege بين المعنى *sinn* والدلالة *bedeutung*، إلا أنه وجد لاحقاً أن هذا التمييز مفيد - لا كما تصوره فريغ - لوسم التمايز بين المعنى في امتداده الأكثر عمومية (sinn) والمعنى كملفوظ لساني أو منطقي، أي المعنى بوصفه دلالة. هنا في هذه النقطة يمكن أن تبدى التواطؤات التي أشرت إليها. هكذا مثلاً:

(١) لكي يعزل المعنى *sinn* أو *bedeutung* عن الملفوظ أو قصدية الدلالة *bedeutung-intention* التي "تتحرك" الملفوظ كان هوسرل بحاجة لأن يُمَيِّز بحزم بين الوجه الدال (المحسوس) الذي يقرّ بأصالته وإن أبعدته عن إشكاليته المنطقية والنحوية، والوجه المدلول المعقول المثالي و"الروحي". وربما سيكون مفيداً هنا استحضار مقطع من "أفكار I" لهوسرل: "إننا نتبنى كنقطة انطلاق التمايز المعروف بين الوجه غير المحسوس، أولنقل الوجه الجسديّ للتعبير، وبين الوجه المحسوس أو "الروحي". لسنا هنا لندخل في نقاش حادّ حول الوجه الأول وحول الشكل الذي به يتحدّ الوجهان. فمن الطبيعي أننا بذلك نشير إلى عناوين المشاكل الفينومينولوجية ذات الأهمية الخاصة. سنتحدث فقط عن إرادة القول أو القصدية *bedeuten* وعن الدلالة *bedeutung*. ترجع هذه الكلمات في الأصل إلى الدائرة اللغوية *sprachliche* sphere، دائرة التعبير. لكننا، وهذا شيء له أهمية في النظام المعرفي، لا نستطيع أن نتفادى توسيع دلالة هذه الكلمات وإخضاعها لتغيير ملائم يمكننا من أن نطبقها على نحواً على

★ للمحافظة على الفارق اللساني بين *Semiotique* و *Semiotologie* ترجمنا الثانية بالسيميائيات، وإن كانتا معا تحيلان إلى البحث العلمي في الأدلة. (الترجم)

دائرة التفكير والتجربة، أي على كل الأفعال سواء أكانت مترابطة أم لا مع الأفعال التعبيرية. هكذا سبق أن تحدثنا باستمرار، في حالة كل المعيشات القصدية، عن "المعنى"، وهي كلمة مطابقة عموماً لـ *bedeutung* (دلالة). وحتى نكون أدقّ خصصنا كلمة *bedeutung* للتعبير عن الفكرة القديمة التي تبدى خصوصاً في عبارة من قبيل *bedeutung logique* دلالة منطقية أو *expressive* تعبيرية. أما كلمة معنى فلا زلنا نستعملها في امتدادها الأوسع. هكذا، فالمعنى سواء أكان "مدلولاً" أم معبراً عنه أم متشابكاً مع عملية دلالة، فهو عبارة عن مثلية *ide alite* معقولة أو روحية يُمكنها أن تتحد بالوجه المحسوس الدالّ لكنها تظل في غنى عنه، مكتفية بذاتها. إن حضوره ومعناه، أولنقل جوهر معناه، لا يقبل أن يُفكر إلا خارج هذا التشابك، إذا اعتبرنا أن الفينومينولوجي كالسيميائي يدعي الرجوع إلى وحدة خالصة أي إلى وجه من المعنى أو المدلول يسهّل التعرف عليه بسرعة.

(2) إن هذه الفرشة من المعنى أو المدلول الخالص تحيل علينا عند هوسرل، وبشكل ضمنى على الأقل في الممارسة السيميائية، إلى فرشة للمعنى قبل لغوية وقبل سيميائية وقبل تعبيرية يقول هوسرل) يكون حضورها قابلاً للتفكير خارج المغايرة وقبلها، خارج عملية أونسق الدلالة. وقبلها. هذه العملية الأخيرة هي فقط توليد المعنى وترجمته ونقله وتوصيله وتجسيده والتعبير عنه ... الخ. إن معنى كهذا هو في الحالين معاً معنى فينومينولوجي، أي في آخر المطاف كل ما يحضر أصلياً للوعي في شكل حدث إدراكي. ولذا فهو لن يكون منذ البدء في موقع دال يدخل في النسيج الاختلافي الذي يجعل منه مسبقاً إحالة واثراً وحرفاً، وتباعداً فضائياً. لقد كانت الميتافيزيقا دائماً، وهو ما نستطيع التذليل عليه، تعمل على انتزاع حضور المعنى (سواء بهذا الاسم أم بأسماء أخرى) من المغايرة. ونحن حين نقوم بانتزاع أو عزل جهة أو شريحة ما من المعنى أو المدلول الخالصين نكون نقوم بنفس العمل. فكيف يمكن لسيميولوجيا من هذا النوع أن تتخلص ببساطة من كل رجوع إلى هوية المدلول؟ ما يتم إذن هو إقامة علاقة برانية بين المعنى والعلامة وبين المدلول والدال، بل المسألة تسير إلي أبعد مع هوسرل، بحيث يتحول عنده الدال إلى إخراج *exteriorisation* وتعبير عن المدلول. تتحدد اللغة هنا كتعبير (ككشف عن حميمية الدأخل) بحيث نعثر لدى هوسرل على كل المشاكل التي تحدثنا عنها آنفاً عند سوسير. لقد حاولت

في مقام آخر (٧) الإشارة إلى النتائج التي تربط الفينومينولوجيا بآتمها إلى حظوة التعبير هذه، وإلى طرد "الإشارة" خارج دائرة اللغة الخالصة (أي خارج "منطقية" اللغة) وبالتالي إلى الأفضلية المخصصة ضرورة للصوت ... الخ. إن هذا الارتباط يتبدى عند هوسرل منذ "الأبحاث المنطقية" ومنذ المشروع الرائع لـ "النحو المنطقي الخالص" وهو بحث أكثر أهمية ومتانة من كل المشاريع المتعلقة بانشاء "نحو عام عقلي" في القرنين 17 و18، الذي ما فتىء يشكل مرجعاً لبعض اللسانيين الحداثيين.

■ إذا كانت اللغة تعبيراً، ومن ثم يكون انغلاقها، فإلى أي حد وعن طريق أية ممارسة يمكن تجاوز هذه الطبيعة التعبيرية؟ وإلى أي حد تكون اللا تعبيرية دالة؟ أليس علم الكتابة "سيمولوجيا" لا تعبيرية تنهض على توسيمات منطقية ورياضية لا لسانية؟

□ أنا مدعوٌ هنا لأن أجيب ظاهرياً بطريقة معاكسة. فمن جهة لا يمكن أبداً وببساطة تجاوز النزعة التعبيرية، ذلك لأنه من المستحيل اختزال أثر المغايرة المتمثل في بنية التقابل البسيط بين الداخل والخارج، وكذا اختزال أثر اللغة الذي يدفعها إلى أن تتمثل نفسها كإعادة تمثيل تعبيرية وضاعطة أو كترجمة في الخارج لما يتكون في الداخل. إن تمثّل اللغة كـ "تعبير" ليس فكرة مسبقة وعارضة، إنها خدعة بنائية، وهو ما يصطلح عليه كأنط بالوهم المتعالي الذي يتغير بحسب اللغات والعصور والثقافات. داخل هذا الوهم تشكل الميتافيزيقا الغربية بدون شك تنظيمًا نسقياً قوياً، إلا أننا لن نغالي بطيش فنذهب إلى القول بأنها المكون الوحيد.

من جهة ثانية: وبشكل معاكس، يمكن القول إنه إذا لم يكن هذا الطابع التعبيري قابلاً للتجاوز بشكل بسيط ونهائي فإنه قد تجوّر من زمن، أحببنا ذلك أو كرهناه، علمنا بذلك أم جهلنا به. فيما أن ما نصطلح عليه بـ "المعنى" (القابل للتعبير) مكون في جوانبه كلها من نسيج من الاختلافات وبما أن النص موجوداً مسبقاً كشبكة من الإحالات النصية

(٧) يحيل دريدا هنا إلى: الصوت و الظاهرة، و إلى الشكل و إرادة القول، هامش حول فينومينولوجية اللغة، و بالأخص إلى ص 196، حيث يمكن أن نقرا: "و يقوم هوسرل بوضع قاعدة عامة تقضي بأن تكون إرادة القول فعلاً للتعبير. فكل شيء يمكن قوله حتماً و مبدئياً، و كل شيء مطالب ضرورة بالتواصل إلى العمومية المفاهيمية التي تشكل أصلاً منطقية اللوجوس" هامش الفلسفة، ص 196. (الترجم).

لنصوص أخرى وكتحول نصي يوسم فيه كل طرف مكون - رغم بساطته - باثر طرف آخر، فإن الطابع الداخلي المزعوم للمعنى يقع مسبقاً تحت تأثير خارجه ذاته ويكون مسبقاً مغايراً *differante* (لذاته) قبل أي حدث تعبير؛ وبهذا الشرط فقط يمكن أن يشكل نظاماً *syntag-* *ma* اونصاً، بل بهذا الشرط فقط يمكنه أن يكون "دالاً". من هذا المنظور لا ينبغي أن نتساءل عن الحدود التي تصبح فيها اللاتعبيرية دالة. فوحدها اللاتعبيرية تكون دالة إذ لا وجود بتاتاً لدلالة ما إلا بوجود التركيب والنظم والنص. إن مفهوم النص حين نفكره في كل مؤدياته متعارض مع المفهوم الاحادي الجانب للتعبير. طبعاً حين نقول بأن النص وحده دال فإننا بذلك نكون قد حولنا مسبقاً قيمة الدلالية *significance* والدليل، ذلك أننا إذا أخذنا الدليل في انغلاقه الكلاسي الاكثر صرامة فإننا سنقول العكس: الدلالة تعبير والنص الذي لا يعبر عن شيء لا دلالة له... الخ. امام علم الكتابة كعلم للنصية *textualité* فلن يصير "سيمولوجيا" غير تعبيرية إلا بشرط تحويل مفهوم الدليل وانتشاله من نزعة التعبيرية الوراثة.

أما الجزء الاخير من سؤالك فهو اكثر صعوبة. من الواضح أن التحفظ، أوبالاحرى المقاومة المضادة للكتابة المنطقية الرياضية كانت من توقيع المركزية العقلية أوالمركزية الصوتية هي هيمتها على الميتافيزيقا والمشاريع السيمولوجية واللسانية الكلاسية. فالتفد الذي وجهه روسو وهيجل وآخرون للكتابة الرياضية غير الصوتية (مثلا في مشروع لايتنز حول علم الحروف *la caractéristique*) سيستعاد من طرف سوسير بطريقة دالة للغاية ليسير جنبا إلى جنب مع تفضيله الصريح للغات الطبيعية. إن علم كتابة يريد الانسلاخ عن نسق الفرضيات هذا يتوجب عليه إذن إعطاء الحرية لترييض *mathématisation* اللغة، والوعي بأن "الممارسة العلمية لم تفر عن الاحتجاج ضد امبريالية اللوغوس في استعمالها مثلاً ومنذ نشاتها للكتابة الصوتية (s)؛ فكل ما كان يربط دوماً بين اللوجوس والصوت *phone* وجد حدوده مع الرياضيات التي جاء تطورها منسجماً ومتعاضداً مع ممارسة الكتابة اللاصوتية. ولا يمكن أن ينتابنا الشك ابداً في هذا المبدأ أوهذا الدور الجراماتولوجي للرياضيات. لكن العمل على توسيع طريقة الكتابة الرياضية وبصفة عامة شكلنة *formalisation* الكتابة، يلزم أن

يتم ببطء وحذر إذا كنا نريد منها الإمساك الفعلي^٩ بخاصية الميادين التي كانت إلى حد الآن قد سُحبت من ملكيتها. إن عملاً نقدياً حول اللغات "الطبيعية" نفسها، والقيام بتحويل داخلي لطريقة الكتابة الكلاسيكية وكذا الممارسة المنطقية للتداول بين اللغات والكتابات "الطبيعية" يلزمه فيما يدولي أن يبيء لعملية الشكيلة تلك ويسايرها. إنها مهمة مستمرة، وسيظل من المستحيل - ولأسباب جوهرية - الاختزال المطلق للغات الطبيعية ولطرائق الكتابة غير الرياضية. ومن اللازم التحذير هنا من الوجه "الساذج" للشكلانية والنزعة الرياضية الذي كانت مهمته داخل حقل الميتافيزيقا (حتى لانتسى ذلك) العمل على تكريس واكتمال اللاهوت والمركزية العقلية فيما كان يستطيع من ناحية أخرى معارضتهما. هكذا مثلاً لا يتفصل مشروع الكتابة العالمية اللاصوتية لدى لآيتنر عن ميتافيزيقا البسيط ومن ثم عن وجود الفهم الإلهي *entendement divin* واللوغوس الإلهي (٩).

إن التقدم الفعلي لطريقة الكتابة الرياضية يسير بموازاة مع تفكيك بناء الميتافيزيقا ومع التجديد العميق للرياضيات نفسها ومع مفهوم العلم الذي ظل دائماً نموذجها الفعلي.

■ إذا كان التشكيك في مفهوم الدليل تشكيكاً في مفهوم العلمية نفسه، فإلى أي مدى يمكن اعتبار علم الكتابة "علماً" أو غير علم؟ هل تعتبر أن بعض الأعمال السيميائية تقارب مشروع علم الكتابة وإذا كان الأمر كذلك فما هي؟

□ إن مهمة علم الكتابة هي خلخلة كل ما يُلقح مفهوم وقواعد العلمية باللاهوت الأونطولوجي وبالمركزية العقلية والصوتية. إنه عمل هائل ولا نهائي، وهو باعتبارها خرقاً للمشروع الكلاسيكي، مطالبٌ على الدوام بتفادي السقوط مرة أخرى في التجريبية القبل علمية. وهذا يفترض سجلاً مزدوجاً في الممارسة الجراماتولوجية: إذ يلزم في الآن تجاوز النزعة الوضعية والعلمية الميتافيزيقيتان وشحن كل ما يساهم - داخل الاشتغال العلمي

٩ ، " لكن يكفيني حالياً أن أشير إلي أن أساس علم الحروف لدي هو نفسه أساس التدليل على وجود الله. ذلك أن الأفكار البسيطة هي عناصر علم الحروف والأشكال البسيطة هي منبع الأشياء وإذن فإني أدافع عن كون كل الأشكال البسيطة متلائمة فيما بينها. إنه اقتراح لن أستطيع التدليل عليه بدون أن أفسر، أثناء ذلك، أسس علم الحروف. وإذا ما تم ذلك فالنتيجة هي أن طبيعة الله التي تحتوي على كل الأشكال البسيطة في انغلاق محكم، تكون مُمكنة. و تكون بذلك قد دللنا أيضاً على أن الله موجود، فقط ننظر منه أن يكون مُمكناً. وإذن فهو موجود. وهو الشيء الذي كنا مطالبين بالتدليل عليه. " (لآيتنر، رسالة إلى الأميرة إليزابيث، 1978).

الفعلي - في تحريرها من العوائق الميتافيزيقية التي تتحكم في مجال حركتها منذ بدايته . إن المطلوب هو متابعة وتعصيد ما برهن داخل الممارسة العلمية على أنه في طور الخروج من الانغلاق العقل مركزي ، لهذا لا يمكن إعطاء جواب بسيط حول معرفة ما إذا كان علم الكتابة علماً . سأقول بكلمة واحدة بأنه يؤسس العلم ويحرره من حدوده ، كما يفرض عليه أن يعمل بحرية وحزم داخل كتابته الخاصة على تشغيل قواعد العلم . إنه بذلك ، ومرة أخرى يسم ويوسع حدود انغلاق حقل العملية الكلاسي .

ولنفس السبب يمكن القول بأنه لا وجود لعمل سيميائي علمي لا يكون في خدمة علم الكتابة . ونحن باستطاعتنا دائماً توجيه النماذج الجراماتولوجية المنتجة من طرف الخطاب السيميائي ضد الفرضيات الميتافيزيقية لهذا الخطاب نفسه . وانطلاقاً بالضبط من المكون الشكلي المختلف *différent* الحاضر في "دروس . . . سوسير ، يمكن القيام بنقد النزعة النفسية والمركزية الصوتية وكذا نزعة طرد الكتابة ، وهي نزعات لها نفس الحضور في كتاباته ذاتها . ونفس الأمر نقوله بخصوص جلوسيماتية يلمسليف . إن نقد النزعة النفسية السوسيرية وإبطال ماهيات التعبير (ومعها النزعة الصوتية) ونقد النزعة البنيوية ونزعة المحايثة *immanence* والميتافيزيقا ، إذا ما تم الوعي بنتائجه ، لا يمكن إلا أن يؤدي إلى نفي كل مفهومية *conceptualité* ميتافيزيقية يتم تصريفها في ثنائية : التعبير / المضمون المرتكزة على ثنائية الدال / المدلول ، وفي ثنائية الشكل / الماهية المطبقة (من طرف يلمسليف) على طرفي الثنائية الأولى وكذا في مبدأ الاختيارية . . . الخ (10) .

قريباً ، يمكن القول بأن الفرضيات الميتافيزيقية تتعايش مع المكونات النقدية في كل اقتراح أو نظام بحث سيميائي . وأنت لك المؤهلات الكافية لإعطاء أمثلة أكثر راهنية على ذلك . إن هذا التعايش يتم فقط لأنها تسكن إلى حد ما نفس اللغة أو بالأحرى نفس اللسان . ولن يكون علم الكتابة بدون شك علماً جديداً أو مجالاً علمياً جديداً حاملاً لمضمون جديد ومبشراً بميدان جديد أكثر تحديداً ، بقدر ما سيكون الممارسة اليقظة لهذا الانشطار النصي .

مَواقِع*

حوار مع : جبي سكاريتا و جان - لوي هودوين

تنبیه

هذه الحوارات الثلاث الوحيدة التي شاركت فيها تخص منشورات راهنة . إنها تشكل سواء من جانبي أم من جانب محاوربي حركةً تاويل نشيط . وباعتبارها محدّدة ومؤرخة فإنها قراءة لعمل أجد نفسي ملتزماً به وهو عمل ليس رهيناً بي وحدي بقدر ما هو لا يراوح عند الحدود التي رسمتها هذه الحوارات . إن وضعية كهذه قابلة أيضاً للقراءة ، فهي قد تحكمت في هذه التبادلات الحوارية سواء في تحقيقها أم في شكل ومضمون ملفوظاتها . لذا فإنها لا تحتل أية إضافة .

جاك دريدا . ماي 1972

خلال كتابة هذا الحوار الشفوي الذي تم في 17 يونيو 1971 أضيفت إليه بعض العناصر التكميلية :

(1) هوامشُ اقترحها جاك دريدا ، هدفها توضيح بعض جوانب النص التي سها عنها

الرمال الجواب .

(2) هوامشُ من هيئة التحرير مُهمتها أن تحدد ، داخل نصوص دريدا ، بعض التحليلات الكفيلة

بإضاءة بعض مؤديات الحوار . كما تهدف هذه الهوامش إلى اختزال تطوير تحليلي ما أوفي الغالب إلى إبراز الخلط أوالتأخر الذي يسم بعض الاعتراضات الراهنة على كتابات دريدا .



■ ج - ل هودبين : لكي نفتح هذا الحوار بإمكاننا الانطلاق مجدداً من نقطة ملحاحة في هذا النص الذي لم يفتأ يكتب وينقري هُنا وهناك منذ سنوات عديدة . يمكننا الانطلاق مجدداً من "لفظ" أو "مفهوم" المغايرة "الذي ليس (...) حرفياً، كلمة ولا مفهوماً"، أي من محاضرة 27 يناير 1968 المنشورة في "النظرية الجامعة" *Théorie d'ensemble** فأنت تتحدث فيها عن تجميع مختلف توجهات بحثك آنذاك والنسق العام لاقتصادها في "كومة" *faisceau* . وقد كان ذلك أيضاً إعلاتاً، فيما يخص موضوعة الاختلاف، لإمكانية "نفِها"، باعتبار أن الاختلاف مطالب بأن "ينصاع طواعية" لاستبداله أوعلى الأقل لارتباطه بسلسلة لم تستطع في الحقيقة التحكم فيها أبداً .

هل يمكنك إذن أن توضح لنا، على الأقل كمدخل لهذا الحوار، الوضعَ الراهنَ لبحوثك التي يبدو مباشرة أن فعاليتها ذات بعد هائل في الحقل الإيديولوجي لعصرنا؟ ثم هلاً وضحت لنا مآل تطور هذا الاقتصاد العام الذي عبر عن نفسه أخيراً في ثلاثة نصوص جديدة يمكن اعتبارها تعبيراً عن اختلاف جديد للكومة، أعني قراءتك لأعداد *nombres* سُولرس *ph.Sollers* ثم "المقامة المزدوجة" و"الميثولوجيا البيضاء" وهما نصان ظهراً في نفس الوقت؟

□ إن موضوعة المغايرة *différance* حين تُكتب بهذا الحرف *a* الصامت فإنها لا تشكل مفهوماً بل إنه لا تكون كلمة؛ وهذا ما حاولت التذليل عليه في مقام آخر (1) . لكن هذا لا

* منشورات سوي، و المنشور لاحقاً ضمن: هوامش الفلسفة (الترجم).

(1) "إنها (أي *différance*) تقترح نفسها عبر سمة خطية صامته أي عبر بنية مُضَمَّر أو بالأحرى عبر هَرَم . وحين أصرح بذلك لا أفكر فقط في شكل الحرف *a*، ولكن أيضاً في نص من نصوص أنسيكلوبيديا هيجل حيث تتم مقارنة جسد الدليل بالهرم المصري . (هوامش الفلسفة، ص 42) . هذا الإحياء يتم تطويره في بحث آخر هو: "البشر والهرم، مدخل لسيمولوجيا هيجل" ص 079 . وهو بحث يعارض بين خطاب اللوغوس الذي يتشمل الحقيقة الساطعة والغريفة من عمق البشر من جهة، والكتابة الأكثر قدماً من الحقيقة، والتي تسم نفسها على جبهة الهرم من جهة أخرى . (المحرر الفرنسي)

يمنعها أبداً من إنتاج آثار مفاهيمية وتكتلات كلامية أو إسمية تكون مطبوعة ومهشمة بحدّة هذا الحرف الغريب، وهي عملية تتطلب وقتاً كي تتراعى لنا. قال "الكومة" التي ذكرتها بها هي بؤرة التلاقي المنتظم؛ إنها بالخصوص الاستحالة البنيوية لإغلاق هذه الشبكة وتوقيف نسجها وبالتالي رسم هامش لها لا يكون هونفسه وسماً *marque*. ولأن المغامرة لا يمكنه أن يتأسس ككلمة سيّدة لذاتها أو كمفهوم قائم بذاته خارج أية علاقة مع اللاهوتي، فإنه يتموضع داخل عمل يقوم هو بقيادته من خلال سلسلة من المفاهيم و"الألفاظ" الأخرى وكذا من خلال تمظهرات نصية مغامرة. وقد تسنح لي الفرصة لاحقاً كي أثّر لم فرضت الكلمات الأخرى هذه نفسها في ذات الوقت أو بتتابع، ولم نحن مضطرون لمنحها قيمة الإلحاح، أعني مثلاً "مفاهيم" من قبيل: الأثر *trace*، الحرف *gramme*، البدء التباعد *espace*، *ment*، البياض (معنى أبيض، دم أبيض، بدون بياض، مائة بياض، طيف) * (2)، الإضافة *supplement*، الدواء - السم *pharmakon*، والهامش - السمة - السير... الخ إن هذه اللائحة لا نهاية لها، وهي ليست تصنيفاً مغلقاً من حيث المبدأ لذلك فهي لا تشكل أبداً معجماً أولاً لأنها ليست ذرّات (معاني ذرية أولية)، بل هي يؤر تكثيف اقتصادي وأمكنة مرور ضروري لكثير من السمات. إنها حفر أكثر فوراناً كما أن آثارها المفرزة لا تنكمش على نفسها من خلال التعاطف المغلق مع الذات، إنها تنشر على شكل سلاسل تشمل مجموع النص في جانيبه النظري والتطبيقي، كل مرة بشكل مغاير. أشير بسرعة إلى أن كلمة "نفي" (حل) *relève* التي استشهدت بها في سؤالك قد فقدت في ذاك السياق المعنى التقني الذي أخصصه لها لترجمة الـ *aufhebung* الهيجلي. إذا كان يوجد تعريف ما للاختلاف فلن يكون حدّاً وقطعاً وهدماً للنفي الهيجلي حيثما كان فاعلاً (3). إن الرهان هنا ضخّم بخصوص النفي *aufhebung* الهيجلي كما يتأوله خطاب هيجلي معيّن. ذلك أنه

* يلعب الكاتب على الجنس اللفظي للمفردات التالية:

sens blanc, sang blanc, sans blanc, cent blanc, seint blanc. ثم على التطابق بين المقاطع *syllabes* الأولى المكونة للكلمات التالية: *mage, marque, marche*. (الترجم)

2 (نظر "القائمة المزدوجة". (م. ف)

* نترجم دريدا كلمة *aufhebung* الهيجلية بـ: *relève* عوض: *negation* إذا تعني الأولى - من ضمن ما تعنيه - النفي و توجهه النفي باتجاه مستوى أعلى، وهي دلالات ثلاث الخطاطة العامة للجدل الهيجلي. (الترجم)

1 (في علم الكتابة، ص. 40 و "من الاقتصاد الضيق إلى الاقتصاد العام". (م. ف)

من البديهي أن المعنى المزدوج لهذا المفهوم قابل لأن يُكتب بطريقة أخرى ومن ثم تأتي مجاورته لعمليات كثيرة يتم تسليطها ضد التأمل الجدلي الهيجلي.

إن ما كان يثير اهتمامي آنذاك، وما أحاول السير فيه بطرق مغايرة حالياً، هو في نفس الآن "اقتصاد عام" واستراتيجية عامة معينة للتفكيك. أما مهمة هذه الاستراتيجية فهي تقادي التجميد البسيط للمعارضات الثنائية الميتافيزيقية والمراوحة البسيطة عند مجال مغلق يؤكد شرعيتها.

ما يلزمنا إذن هو تقديم حركة مزدوجة هي في الآن نفسه منتظمة ومتزاحة عن نفسها؛ أعني كتابة منفصمة ومتعددة بذاتها وهو ما سميت في "المقامة المزدوجة" علماً مزدوجاً (4) : أي أولاً المرور بعملية قلب *renversement*. وأنا الح دائماً وباستمرار على مرحلة القلب هذه التي تم العمل وبسرعة مفرطة على نزع أهميتها المكتسبة. وأن نعطي المشروعية لهذه الضرورة معناه الاعتراف بأننا، إزاء تعارض ثنائي فلسفي كلاسي ما، لا نكون بصدد التعايش السلمي لشئين متواجهين وإنما أمام تراتبية عنيفة يكون أحد طرفيها متحكماً في الآخر أكسيولوجياً (قيماً) ومنطقياً... . وذا مرتبة أعلى منه. وأن نقوم بتفكيك بناء المتعارضة يعني القيام أولاً وفي لحظة معينة بقلب البناء التراتبي. وإذا ما نحن أهملنا مرحلة القلب هذه فإننا سنتجاهل البنية الصراعية التي ترتبط بها المتعارضة؛ وهذا يعني أننا، قبل الإمساك بالمتعارضة السابقة نمر بسرعة إلى عملية التجميد فنترك عملياً المجال السابق في حالته الأصلية ونحرم أنفسنا من أية إمكانية للتدخل فيه فعلياً. ونحن على علم بما كانته دائماً الآثار العملية (وبالخصوص السياسية) للقفز المباشر إلى ما وراء المعارضات وذلك بحجة عدم انتمائها لهذا الطرف أولذاك. وحين أقول بضرورة هذه المرحلة فإن لفظة مرحلة phase قد لا تكون الأكثر تعبيراً عن لحظة الانتقال هذه، إذ لا يتعلق الأمر هنا بمرحلة زمنية تتابعية *chronologique* وبلحظة معطاة، أي بصفحة يمكن إدارتها يوماً للانتقال ببساطة إلى ما

4 (انظر أيضاً هرامش الفلسفة (ص. 40) والكتابة والاختلاف (ص. 385) حيث يتم الحديث عن "الكتابتين" و "الكتابة والاقتصاد العام" و "انتهاك المحاييد وتحويل النفي". وانظر أيضاً هرامش الفلسفة (ص 31) حيث يتم الحديث عن "تصدعات" النص الميتافيزيقي: "نصان، يدان، نظران، سمعان" "إن العلاقة بين النصين لا يمكن أبداً أن تُقدم نفسها للقراءة في شكل الحضور، هذا إذا افترضنا أن شيئاً ما يمكن أن ينصاع للقراءة في شكل كذاك ". أما بخصوص "السجل المزدوج في الممارسة الجراماتولوجية وعلاقته بالعلم، انظر ضمن هذا الكتاب الحوار مع جوليا كريستيفا.

يتبعها. إن ضرورة هذه المرحلة ضرورة بنيانية لأنها مرحلة تحليل لانهاضي؛ ذلك أن تراتبية المتعارضة الثنائية تعيد تشكيلها باستمرار. وخلافاً للكتاب الذين يفنون قبل موتهم الجسدي فإننا نعتبر أن لحظة القلب هذه ليست ابداً وقتاً ضائعاً أو ميتاً.

من جهة أخرى، يعني الوقوف عند هذه المرحلة العمل داخل أرضية ونظام ما نريد خلخله تركيبه. ما يلزم إذن هو أن تكون هذه الكتابة المزوجة المترتبة والمنزاحة والفاصلة أداة لتأكيد الفاصل بين عملية العكس *inversion* (التي تجعل من الفوق تحتاً وتفكك جينالوجيته التسمائية ذات المنزع المثالي) والبزوغ المفاجئ لـ "مفهوم" جديد يكون خاصاً بتعيين ما لا ينصاع وما لم ينصع ابداً للاحتواء داخل نظام سابق. إن هذا الفاصل أو الوجهة المزوجة لا يمكنه أن يكون إلا داخل كتابة منشطرة *bifide*. كما أنه لا يأخذ معناه إلا داخل مفهوم جديد للكتابة يُنتج انقلاباً داخل التراتبية: كلام / كتابة (ومعها كل نظام يتصل بها) ويفجر في الآن نفسه الكتابة داخل الكلام نفسه فيخلخل نظامه ووصفته الجاهزة ويغزو كل مجاله. إن ذاك الفاصل لا يمكنه أن يوسم إلا داخل حقل كتابة نصية أسمتها حقلاً متجمعاً، حيث لا نستطيع في حدود معينة تنظيمه أو تلخيصه. ولذا فإن نصاً خطياً وموقعاً زمنياً دقيقاً (5) أو عملية يقوم بتوقيعها مؤلف واحد لا يمكنها مبدئياً أن تمارس هذا الفاصل.

إن "التشتيت" أي النص الذي يحمل هذا الاسم، بما أنك طرحت سؤالك بهذا الصدد، وهو اكتشاف منهجي ومُسرَّح لهذا "الفاصل" والمربح والتربيع والورقة والقانون والأربعة... الخ*. من ثم ولكي نسّم هذا الفاصل كان من اللازم، داخل النص التاريخي والفلسفي وكذا النص المسمى "ادبياً" (نص مالأرمني علي سبيل المثال)، تحليل وإعمال بعض السمات - وقد ذكرت بعضها ولا يزال هناك الكثير غيرها - التي سميتها عن طريق التناظر: كلمات لا متحددة *indécidables* أي وحدات سيمولائية أو خصائص لغوية وإسمية ودلالية "خاطئة" لا تندرج ضمن المتعارضة الفلسفية (الثنائية). إلا أن هذه المفردات تسكن المتعارضة وتقاوم فعلها، بل إنها تُخلّ بنظامها لكن دون أن تُشكل ابداً حداً ثالثاً ودون أن تكون مدخلاً لحلّ ذي شكل جذلي / تأملي يكون عبارة عن تركيب

(٩) حول الموقع والدقة الزمنية انظر الكتابة والاختلاف (ص. 292)، وحول نقد الدقة الزمنية انظر الصوت والظاهرة و "المحضور والحرف". (م. ف) وأضيف: إن التوقيع يتزاح من تلقاء ذاته. (ج. دريدا)

* يلعب دريدا على الجنس اللفظي بين الكلمات الآتية: *cart, cane, canure, carte, quatre*. (المترجم)

للمتناقضات. قال : pharmakon ليس داءً بقدر ما هو ليس سماً وهو ليس الخير كما ليس الشر، ليس الداخل ولا الخارج، لا الكلام ولا الكتابة. كما أن الإضافة ليست شيئاً زائداً ولا ناقصاً، ولا هي بخارج ولا بتكملة للداخل، إنها ليست جوهرًا ولا عرضاً...

والمهبل ليس هو الاختلاط ولا التمايز. لا هو هوية ولا هو اختلاف، ولا هو استهلاك ولا هو عذرية، لا هو حجاب ولا هو تعرية، لا هو بالداخل ولا هو بالخارج... كما أن الحرف ليس بدالاً ولا بمبدول، فلا هو علامة ولا هوشيء، لا هو حضور ولا هو غياب، لا هو إيجاب ولا هو سلب... والتباعد لا هو فضاء ولا هو زمن، كما أن البدء ليس هو الشمولية البدئية للابتداء أو القطيعة البسيطة ولا الثانوية *secondarite* البسيطة. إن بنية النفي المزدوج : لا / ولا ni/ni هي في الآن نفسه هذا أو ذاك. أما السمة فهي أيضاً الحدّ الهامشي والسير... فما أحاول بالفعل القيام به هو توجيه العملية النقدية ضد الاحتواء المستمر لعمل السيمولأكر هذا داخل أي جدل من الصنف الهيجيلي ينزع إلى إضفاء الطابع المثالي والدلالي على قيمة العمل هذه أيضاً. إن المثالية الهيجيلية تتمثل أصلاً في حلّ المتعارضات الثنائية الكلاسيكية، وبالتالي حلّ تناقضاتها ضمن حدّ ثالث تكون مهمته نفي الاختلاف مع حله وإعطائه طابعاً مثالياً ومن ثم التسامي به داخل طوية ذاتٍ ذاكرة مطلقاً وسجنه في داخل هو داخل الحضور للذات.

إن توضيح العلاقة مع هيجل عمل عويص لا زال لم يدرس في جانبه الأكبر، بل إنه يبدو عملاً لا نهائياً إذا نحن أردنا أن نقوم به بدقة وصرامة. ولأننا لا نزال بصدد توضيح هذه العلاقة، فقد حاولت التمييز بين المغايرة (الذي ينم الحرف) فيه من ضمن ما يتم عنه، الطابع الإنتاجي والصراعي) والاختلاف الهيجيلي. فهيجل يذهب إلى حد تعريف الاختلاف في «المنطق الكبير» كتناقض(6)، وذلك ليعمل على حله واستبطانه تبعاً

(6) إن الاختلاف عموماً هو قبل كل شيء التناقض في ذاته (هيجل). وحتى لا نظل ببساطة قابعين داخل عمومية التناقض المنطقي فإن الاختلاف (باعتباره عملية تميز) تسمح بإقامة حساب تمييزي بين الأنماط الهيجينية من الصراع أو إذا شئنا بين الصراعات. وإذا كنت قد تحدثت غالباً عن صراع القوى بدل التناقض فذلك أولاً لحبيطة نقدية من المفهوم الهيجيلي للتناقض ثم لأنه يفترض - كما يشير إلى ذلك اسمه - النفي داخل الخطاب الجدلي وداخل محايثة مفهوم مسؤول عن برانيته ويمتلك خارجه بالقرب من ذاته. أما اختزال المغايرة *différance* في الاختلاف *difference* فإنه يظل متخلفاً عن هذا النقاش. من ثم يأتي وسمّ الإضممار ذاك بالصياغة التالية: كتابة مضادة للقول مطروحة لإعادة القراءة " *scripture contradiction* » (التشتيت ص. 182 و 403)، هكذا وعبر هذا التعريف فإن "اللا متحد" *indécidable* وهو ليس التناقض في شكله الهيجيلي، يقوم بالكشف عن لا وعي المتعارضة الفلسفية أي اللاوعي المعادي للتناقض في اتئامه لمنطق الكلام والخطاب والرعي والحضور والحقيقة... الخ، وذلك في منحى فرويدي جداً.

للتصيرورة القياسية للجدل التأملّي داخل تركيب وجودي - لا هوتي ووجودي - غائي حاضر لذاته. إن المغايرة مطالبة بأن تُحدّد وتُموّج نقطة قطيعتها مع نظام النفي ونظام الجدلية التأملية. فكما أشرت إلى ذلك، هنا وفي مقام آخر (7)، وفي نقطة محاذية شبه تامة لهيجل: كل شيء يتم في هذه النقطة الحاسمة بالذات، أي فيما سماه هُوسرل بـ "الاختلافات الدقيقة في المعنى" وما سماه ماركس "الوحدة الصغيرة للمعنى". "إن هذا الطابع الصراعّي للمغايرة (8) الذي يمكن نعتّه بالتناقضي، إلا إذا فصلناه من خلال عمل تفكير طويل عن المفهوم الهيجلي، لا ينصاع لأي نفي أو حل". ولذا فالمغايرة تُموّج آثارها داخل ما أسميه النصّ العام، وهونص لا يسجنُ بنيته في الفضاء المختزل للكتاب أو المكتبة ولا يبيح لأي مرجع - بالمعنى الكلاسي - أولاي مدلول متعال أن يقوده وينظّم حركته. وانت ترى جيداً أنني بالتجائي إلى مؤشّر المغايرة دون نظام الاختلاف والتناقض الهيجلي لا أرمي إلى نوعٍ من المُصالحة ولا أصدر عن هاجس تهدئة التناقض وتجميده. وإذن - وأنا أتابع سؤالك - فإن هذه السلسلة المفتوحة للمغايرة و«الإضافة» و«الحرف» و«الفارماكون» و«المهيل»... قابلة لاستقبال الموضوع، أو إذا شئنا، المفهوم المنظّم للعمومية والمسمى تشتيّاً dissemination.

لقد تمّت صياغة هذا المفهوم، كما تعرفان، من خلال حركة قراءة مشاركة لرواية فيليب سولرس: أعداد. إن التشتي لا يعني في نهاية المطاف شيئاً ولا يمكن جمعه ضمن تعريف واضح، وأنا لن أقوم بهذا الترف هنا بل أكتفي بالإحالة على اشتغال النصوص التي كتبت في هذا الإطار. وإذا كنا لا نستطيع أن نلخص التشتي، أي المغايرة الذرية، في فحواها المفهومي فذلك لأن قوة وشكل ظهورها تفقّ الأفق الدلالي. إن الاهتمام الملحوظ بالتعدّد الدلالي polysemie وبالموضوع المتعدد لنصّ ما يشكل بدون شك تقدماً بالنظر إلى خطية الكتابة وبالنظر إلى قراءة وحيدة المعنى تلهت وراء وصاية المعنى ووراء المدلول المركزي للنص، هذا إن لم تلهت وراء المرجع الرأشد. لكن التعدد الدلالي من حيث

7 ، هومش الفلسفة، ص. 21. وانظر أيضاً النقاش الذي دار بعد ذلك على صفحات مجلة الجمعية الفرنسية للفلسفة. (م. ف)

8 ، حول الخاصية الصراعية للاختلاف والأخرية التي تدخل ضمنها، انظر من ضمن ما يمكن الرجوع إليه هومش الفلسفة ص. 8 و 21 والكتابة والاختلاف ص. 364. (م. ف)

هو كذلك ينتظمُ ضمنياً في أفق انبثاقٍ وحيد للمعنى بل وفي جدلية غائية وذات متزعزعة كلياً، يمكن في لحظة معينة ولوبعيدة من جمع كلية النص في حقيقة معناه لتجلبه إلى تعبيرات وتصويرات، ولتُعدم فيه، بالتالي، التحرك المفتوح والمتنفتح للسلسلة النصية. فريشار J.P. Richard يتحدث في قراءته الثيمية لما لارمي عن الجدَل، وريكور P. Ricoeur في «بحثه حول فرويد» يقوم بالمثل، والحقيقة أن هيرمينوسية ريكور ونظريته في التعدد الدلالي تقترب كثيراً من النقد الموضوعاتي لريشار كما يعترف هونفسه بذلك. أما التثنية، فلها ينتج عدداً غير منته من الآثار الدلالية فإنه لا يترك نفسه يتقاد إلى حاضر بسيط الاصل ولا إلى أي حضور أخروي.

فـ "التثنية" و "المقامة المزدوجة" و "الميثولوجيا البيضاء" هي إعادة مسرحة عملية لكل المنطلقات الوهمية والكلمات الاستهلالية incipits والعناوين والشروح والذرائع التخيلية... إنها نصوص تفصل رأس النص عن جسده. والتثنية تعدد توليدي وغير قابل للاختزال. الإضافة وشغَب النقص يشرخان جسد النص ويمعان شكلته النهائية الانغلاقية، أو على الأقل ينعان التصنيف المتختم لمواضيعه ومدلوله وإرادة قوله وقصديته. إننا نلعب هنا، وببداية، على التشابه المجاني وعلى القرابة الوهمية بين الوحدة الدلالية الصغرى seme والبذرة الدلالية semen فيبينهما لا يوجد أي تواصل في المعنى، ورغم ذلك وفي هذا الانزياح وهذا الاصطدام الخارجي المحض، تنتج هذه الحادثة نوعاً من السراب الدلالي: مُداورة إرادة القول ليبدأ أثرها وانعكاسها في التحريك.

إنني لم أحاول هذا النظام المحرك للفائض وللنقص داخل حيادية خطاب نقدي عام (وقد وضحت كيف أن شكلته كاملة - بالمعنى الكلاسي - مستحيلة (9) كما أن "المقامة المزدوجة" هي "نقد" تفكيكي لمفهوم "النقد") وإنما حاولت إعادة كتابة وتسجيل وإعطاء الانطلاقة مجدداً لخطاطاته التصورية. يتعلق الأمر في "المقامة المزدوجة" و "التثنية" (وهما نصان لا يمكن فصل أحدهما عن الآخر) ب إعادة وسم re-marque شريان وثنية وزاوية، تعمل كلها على إيقاف الكليّة totalisation وذلك في مكان معين هو مكان لشكل محدد؛ من ثم لن يمكن لاية سلسلة من التكافؤات الدلالية أن تغلق

اوتتَجَمَّعَ. وهذا لا يعني أنها مفتوحة على ثروة من المعنى لا تنضب أو على تضخم دلالي متعال. عبر تلك الزاوية وعبر إنشاء وانكماش اللا متحدّد تأتي السّمة لتسم معاً الموسوم والسّمة ومَجَال السّمة المعادُ وَسَمُهُ re-marque. إن الكتابة في هذه اللحظة تعيد وَسَمَ نفسها بنفسها (وهو شيء مغاير للتمثيل الذاتي) وبالتالي لا تدخل في لائحة الموضوعات، إذ هي ليست موضوعة theme ولا يمكن بأي حال أن تغدو كذلك بل يلزم نزعها من تلك اللائحة (كحفرة) وإضافتها إليها (على شكل نتوء). إن الحفرة هي هي التواء، لكن النقص والفائض لا يمكنهما أبداً أن يصبحا ثابتين داخل امتلاء شكل معين أو معادلة معينة أوداخل الهلاؤم الموقوف لتواز ما أوتناظر ما. لا يمكنني هنا أن استعيد العمل الذي حاولته في هذين النصين بخصوص الثّنية والبياض والمهلّ والهامش والزاوية والمربّع والهواء والفائض العددي... الخ، فهذا العمل أنتج، من ضمن ما أنتج، هذه الحصيّلّة النظرية: إن نقداً يقتصر على المضمون (النقد الموضوعاتي سواء أكان متعلّقاً بالأسلوب الفلسفي أم السوسولوجي أم النفساني الذي يُعتبر الموضوع - الظاهرة أو الخفية، الممتلئة أو الفارغة - المادة الجوهرية للنص وموضوعه أو حقيقته المتجلية)، إن نقداً من هذا النوع لا يمكنه أن يرتقي إلى مستوى بعض النصوص أو بالأحرى إلى مستوى بعض الفضاءات النصية بالمقدار الذي لا يستطيعه نقد شكلائي محض لا يهتم إلا بالسّن وباللغة المحضة للدليل وبالترتيب التقني لنص/ موضوع ما، فيُهمل بذلك المؤثرات التكوينية أو الأثر ("التاريخي" إذا شئتما) للنص المقروء وأيضاً للنص الجديد الذي هو بصدد كتابته. إن هذا النقص من كلا الجانبين يتكامل بشكل صارم ولا يمكننا تحديده إلا بتفكيك للبلاغة الكلاسيكية ولفلسفتها الضمنية. وهذا ما بداته في "المقامة المزدوجة" وما حاولت منحه طابعاً نسقياً في "الميثولوجيا البيضاء". إن نقد البنيوية الشكلية قد بدأ في الاشتغال منذ النصوص الأولى لـ "الكتابة والاختلاف".

■ ج. سكاربيتا: - حتى أساهم في توضيح ملامح الوضعية التاريخية لهذا اللقاء يمكننا أيضاً إثارة قضايا الندوة التي انعقدت في كلوني Cluny في أبريل 1970، * ذلك

* يعود المتفنون الفرنسيون مرة أخرى في غشت 1992 وفي كلوني أيضاً إلى تدارس كتابات جاك دريدا العديدة ولكن بصور مختلفة هذه المرة (الترجم)

لأنك في غيابك عن هذه الندوة التي كانت تتمحور حول "الأدب والإيديولوجيات" ظلمت حاضراً باستمرار من خلال الاستشهاد بكتاباتك أو مساءلتها في تدخلات كانت بعض الأحيان متناقضة.

ج - ل. هودوين: - في قلب هذا السؤال الذي فتحه سكاريتا، ولأن هذه النقطة أثبتت في كلوني، أبيعُ لنفسي الإثارة المجددة لمسألة مواجهة تفكيرك بفلسفة هيدجر. نتحدث في النص المذكور سالفاً "الغايرة" عن التأمل الهيدجري الذي لا يمكن مراوغته: في أي شيء يبدو لك هذا التأمل "غير قابل للمراوغة"؟ وبما أنك لا تصرح بهذا الطابع إلا لعبوره، هل يمكنك توضيح بعض الحواجز التي تجعلك لا تتوقف عند عتبة الفكر الهيدجري؟

□ لكما الحق في الإشارة إلى هذه الندوة، فقد فرغت للتو من قراءة أشغالها. إن الأمر كما يبدو لي يتعلق بحدث ذي أهمية كبرى نظرية وسياسية معاً. أما بخصوص علاقة الأدب بالإيديولوجيا فقد قدمت الندوة توضيحاً هاماً من خلال العديد من التدخلات التي ستقدم النقاش في الأمر لا محالة.

إن اسئلكما متعددة وصعبة. بايها أبدأ؟ هل أعود إلى ما وضعني موضع تساؤل؟ هل تظنان أن هذا لا زال ضرورياً؟

■ ج - ل. هودوين - ربما سيمنكن هذا من توضيح بعض الغموض وسوء التفاهم، وكما ذكرت سيمنكن من تقديم الأمور بعض الشيء.

□ لنبدأ إذن. طبعاً لم أكن أرغب في أن أثير هنا ما يخصني داخل نقاش لم يكن له، لحسن الحظ، أن يكون مقتصرأ عليّ، نقاش أسفّتُ جداً - كما تعرفان - على عدم المشاركة فيه شخصياً. وإذ أجيبُ على اسئلتكما، فذلك أساساً لكي أميز جيداً بين التساؤلات والاعتراضات التي وُجّهت إليّ. بعضها، كتدخل كريستين جلو كسمان C. Gluk sman، كان يرمي بوضوح وبدون عدوانية مرتبكة وعاجزة إلى جعل القراءة والنقاش ممكنين. سأعود لاحقاً للإجابة عليها، وسأجيب عنها كلما كان هناك تبادل يتيح ذلك في هذه الشروط وكلما كنت قادراً على إضافة شيء يخص ذلك. وبخصوص تدخلات أخرى بدت لي متخلفة ورجعية سأذكر فقط بنقاط جدّ أولية.

وفي معرض هذا الحديث أقول بأنّي علمتُ (لاني قرأت ذلك مرتين) بأن فكري

(وأننا هنا بالطبع استشهد) في "طور التطور". ألا يدعو هذا للفرح؟ (10) صحيح أن هذه الملفوظات مرسلّة بالضرورة من موقع يلزم التحسب له زمنا ومكانا ويلزم معرفة أي فكر أخروي يحكمها. وكنت ساستفيد كل الاستفادة من تلك التشجيعات، اليقظة في بعضها واللفظية في بعضها آخر، لو أن "التطور" كقيمة لم يكن يبدولي دائما مشبوها، وذلك عبر كل الخلفيات التي يتضمنها (هل هو قيمة ماركسية؟)، وبالاخص لو أنني لم أكن حذراً من "الفكر". لا، إن المسألة تتعلق بنقلات نصية يدمسارها وشكلها وضرورتها أبعد ما يكون عن "تطور الفكر" أو غائية خطاب ما. اسمحالي أن أذكرُ بجملة خاطرتُ بها منذ مدة، أي أنني كتبها، لأن العمل الصامت للكلمات المكتوبة بحرفبارز وللمزدوجتين guillemets لا يمكن فصله عن تلك المخاطرة كما يحدث غالباً. فبدلاً من التساؤل فقط عن مضمون النص ينبغي أيضاً تحليل الشكل الذي به يكون النص. هذه الجملة هي: "إن الفكر، وبشكل ما، لا يعني شيئاً". (11)

إن "الفكر" pensee (أي كلمة "الفكر" وما ندعوه "فكراً") لا يعني شيئاً: إنه الفراغ المجوهر substantifié لثالية جد مشتقة، فهو أثر لاختلاف القوى وهو الاستقلال الذاتي الوهمي لخطاب أووعي يلزم تفكيك أفانيمه وتحليل "عليته". . . . هذا من ناحية أولى. أما من ناحية ثانية فإن تلك الجملة تُقرأ كالتالي: إذا كان هناك وجود للفكر (والفكر يوجد، وسيكون من المشبوه، ولأسباب نقدية مماثلة، رفض وتفنيد إلحاحية كل "فكر") فإن ما نسميه فكراً قادراً مثلاً على تعيين التفكيك للمركزية العقلية لا يعني أي شيء ولا يعود في نهاية المطاف "لإرادة القول". فحيثما يُمارسُ الفكر فإنه لا يعني شيئاً. أصل الآن إلى التحفظ الذكي لكُرسيتين جُلُوكُسمان: "التاريخ المُدرَك وبشكل خطي" كتاريخ للمعنى"، "تصوّر خفي للتاريخ". . . يبدو أنه يحتقر، حتى لا أقول يحجى صراع المادية والمثالية". هل من الضروري أن أذكرُ بأن ما حاولت، ومنذ نصوبي الأولى، أن أُنهي النقْدَ التفكيكي ضده هو بالتحديد سلطة المعنى كمدلول متعال وكغائية telos، بمعنى آخر

(10) وأنا مغتبط لذلك التقرير خصوصاً وأنه يبدو (وأنا أصدق ذلك) أن هناك من يظن العكس. إنني لا أصدق ذلك لأنه يعود إلى مراقبة التجديدات النظرية كما يُراقب الغيث، بل لأنه يعود بالأحرى إلى تمنّي إقامة فصل سنوي خاص بالجوانب النظرية (وهو شيء ينم عن تصور معين لقيمة الانتاج والاستهلاك في هذا المجال). إنه يعود في الواقع إلى تجاهل تجريبي فج للنسبة للضرورة والشكل والزمن الخاص بتطورها.

(11) في علم الكتابة ص. 142. (م. ف)

ضد التاريخ المحدد في نهاية المطاف كتاريخ للمعنى، أي التاريخ في صورته المثالية والميتافيزيقية (ساعود لتحليل هذه المصطلحات بعد برهة)، وأني وجهت نقدي أيضاً إلى البصمات المركبة التي تركها في الخطاب الهيدجري؟

لا أريد هنا أن أطيل وأعطي أمثلة محددة. فما طرحته الآن يمكن قراءته في كل صفحة من كتاباتي. قد أفهم تعني باني ملحاحاً ورتيباً، لكن ما لا أفهمه هو أن يلصق بي مفهوم للتاريخ كـ "تاريخ للمعنى". في الحقيقة يكمن جذر سوء التفاهم هذا في ما يلي: يعتبر الآخرون أنني سيد ما أحلله ومن ثم أنني صاحب مفهوم للتاريخ كتاريخ مثالي غائي... إلخ. وبما أن هذا المفهوم أكثر ذبوعاً بكثير مما تنصور، بل هو يتجاوز الفلسفات ذات الياقطة "المثالية". فإني أحذر كثيراً من مفهوم التاريخ هذا؛ وأظن أن سمات الحذر هذه (والتي سنعود لها بالتأكيد) كانت في أصل إثارة سوء فهم ناتج عن قراءة أولية. أما بخصوص الخطية *linearisme* فأنتم تعرفان جيداً أن هذا ليس منزعي إطلاقاً (12). فانا أربط الخطية بدقة وباستمرار بالمركزية العقلية وبالزعة الدلالية وبالمثالية. إنني لم أومن قط بالاستقلال المطلق (13) لتاريخ ما كتاريخ الفلسفة بالمعنى الهيغيلي الشائع؛ ليس هذا فحسب، لكنني حاولت وبشكل منتظم أن أقوم بعملية مسرحية *mise en scene* للفلسفة على خشبة لا تتحكم هي فيها، خشبة حكمت عليها المؤرخون الكلاسيون للفلسفة في الجامعة وغيرها بالتصلب. لهذا لست متعوداً على الشكوك التي طرحتها كـ "جلوكسمان".

"[إن دريدا] يحتقر، حتى لا أقول يحمي الصراع بين المادية والمثالية"؟! لا، أبداً.

(12) انظر ضمن المراجع المتوفرة: في علم الكتابة، الجزء الأول بكامله، (مثلاً: "إن النموذج اللغز للخط *ligne* هو بالضبط ما لم تكن الفلسفة تستطيع رؤيته فيما كانت عينها مفتوحة على داخل تاريخها الخاص. هذا الليل يتبدد شيئاً ما في اللحظة التي تخفّف فيها الخطية - باعتبارها ليست ضياعاً أو غياباً بل كبتاً للفكر الرمزي في إبعاده المتعددة - من اضطهادها لأنها تبدأ في تعقيم الاقتصاد التقني والعلمي الذي كانت قد اعتمدته لمدة طويلة. فمنذ زمن كانت إمكانيات الخطية متعاضة بالفعل مع الاقتصاد والتقنية والإيديولوجيا، هذا التعاضد يظهر في المراكمة والرسمة وترسيخ وتشكيل الإيديولوجيا من طرف طبقة أولئك الذين يكتبون أو على الأقل يتفرون على كتبة. ص 9 و128)، وكذا في البحث الذي يحمل عنوان "الحضور والحرف" وخصوصاً في النهاية: "كتابة تكون متجاوزة لكل ما حصره تاريخ الميتافيزيقا في خطه ودائرته وفي زمنه وفضاءه" (م.ف).

(13) لكنني في الحقيقة أهتم بتاريخ الفلسفة في "استقلاله النسبي"، وهو شيء يبدو لي ضرورياً لأن النقد النظري بدوره خطاب (ذلك هو شكله الخصوصي)، وهو إذا أراد أن يتمفصل مع ممارسة أكثر عمومية يلزمه أن يأخذ بعين الاعتبار التشكلية النظرية الأكثر قوة واتساعاً وديمومة ونسقية في "ثقافتنا". بهذا الشرط يمكننا تفادي الارتجال التجريبي والاكتشافات الخاطئة الخ، ويمكننا إعطاء طابع نسقي للتفكيك..

بالعكس، ذلك يهمني كثيراً، وهو من زمان ذواهمية يلزم الانتباه إليها. بل إنني أولي اهتماماً كبيراً لبعض أشكال المادية "الميكانيكية" التي تحتوي على أشياء كثيرة ينبغي الاستفادة منها. من المحتمل ألا يكون لدي شيء أصيل أو جديد يخص هذا الموضوع، وفي هذه الحالة فأنا قليل الثروة، وهذا بالتأكيد ما لا يقبله الآخرون. أنتما تريان أن ما بدأ لي ضرورياً ومُستعجلاً في الوضعية التاريخية الراهنة هو التحديد العام لشروط ظهور الفلسفة والميتافيزيقا وحدود ما تحمله هذه الأخيرة وما تنهض عليه. وهو ما كُثِّفَتْهُ تحت عنوان المركزية العقلية كمفهوم اقترحته في في علم الكتابة بتزامن مع مشروع التفكير. هنا توجد وحدة نسقية جبارة يلزم بدءاً تحديدها من حيث هي كذلك، هذا إذا أردنا ألا نعتبر المثانيات بمثابة مصاييح كلما نحونا نحو تحديد انبثاقات أوقطائع وانقطاعات وتحولات ما... (١٠). إن المركزية العقلية هي أساساً نزعة مثالية، بل هي رَحِمُ المثالية. وهذه الأخيرة هي التمثيل الأكثر مباشرة لها وقوتها الأكثر ديمومة في هيمنتها. أما تفكيك وحدة المركزية العقلية فهو تزامنيا - وبعدياً - تفكيك للمثالية أول للروحانية في كل صورها. طبعاً تشكل المركزية العقلية الآن مفهوماً أكثر شمولية من مفهوم المثالية من حيث أنه يمثل، بالنسبة لهذا الأخير، التعقيد الفائض. إنه مفهوم أكثر شمولية أيضاً من المركزية الصوتية. فهو يشكل نسقاً من المخمولات يمكن لبعضها أن تلتقي داخل فلسفات تعتبر نفسها غير مثالية إذا لم نقل معادية للمثالية. إن استخدام مفهوم المركزية العقلية يبدو إذن صعباً وفي بعض الأحيان مُقْلَقاً ومُخِيفاً.

هل تريدان الآن أن نخُص بكلمة الفئة الأخرى من الاعتراضات التي قُدمَتْ في مناظرة كلونيني؟ لن أعود مرة أخرى لصيغة "رفض التاريخ" التي أريد إلصاقها بي لأنني كنت واضحاً بخصوصها ولأنني أجد أنها تدعول للسخرية والضحك. كما أنني لا أستطيع أن أتابع كلمة كلمة كل المقترحات المطروحة التي جرنني الخلط الذي يعتورها إلى التيه (اعطيكما مثالا على ذلك: "إن الكتابة الخطية grammatique الديريديّة "تتشكل" في خطوطها العامة بناءً على الميتافيزيقا الهيدجرية التي تحاول "تفكيكها" وذلك عبر تعويض "حضور اللوغوس" بأسبقية الأثر trace؛ إنها تشكل كاونطولوجيا انطلاقاً من الأثر كـ "عمق"، كـ

"اساس" او ك "اصل") كيف يمكن ان نتشكل بناء على ما نُفكك؟ هل يمكن الحديث بهذه البساطة عن الميتافيزيقا الهيدجيرية؟ لكن بالأخص (لان هذين الاحتمالين ليسا خلطاً في ذاتهما بالرغم من إمكانية تحويلهما كذلك) أَلَمْ أَرَدَدْ دَوِّماً، بل أَلَمْ أَدُلُّ على ان الاثر ليس عمقا ولا أساسا ولا اصلاً وأنه لا يمكن بأي حال أن يكون في أصل اونطولوجيا واضحة او مقنعة؟ صحيح أن هذا الخلط، المتمثل في إخضاع نصوبي لانتقادات ينسب أصحابها تماماً أنها أخذت أو استعيرت من هذه النصوص نفسها، قد تمّ تفاديه من قبل قراء أقل تنوراً إن لم أقل أقل وعياً ومعرفة.

من جهة أخرى، أنا لم أقل أبداً بأن "الخطوة السوسيرية" كانت في أصلها أوفي مجملها عقل مركزية أو صوت مركزية. إن عملي القرائي لا يأخذ هذا الشكل. فحين أحاول أن أفك رموز نص ما لا أتساءل دائماً إذا ما كنت سأجيب بنعم أم بلا وبشكل عشوائي كما هو الحال عندنا في فرنسا وفي فترات محددة من التاريخ وبصفة عامة أيام الأحاد. إن نص سوسير، شأنه في ذلك شأن كل النصوص الأخرى، ليس مُنْسَجَمًا. فقد حللت فيه طبقة "عقل مركزية" ؛ و "صوت مركزية" حللت فيه أثراً (وإن لم أبرزه بالرغم من فعّاليته). لكنني قمتُ بذلك أيضاً كي أوضح للتو أن تلك الطبقة كانت تشكل تناقضاً في المشروع العلمي سوسير كما يقدم نفسه للقراء وكما تلقّيته أنا كذلك. وليس هنا مجال استعادة هذا التحليل. (15)

إنني لم أطابق أبداً، لا من قريب ولا من بعيد، بين الكتابة والأسطورة كما يحاول البعض الإيهام بذلك من منطلقات لا بد من تحليلها. إنني أعني بمفهوم الكتابة الصورة التي حاولتُ تحديدها له. بالمقابل اهتممتُ ببعض الأحيان بالحركة التي بموجبها تطرّد الفلسفة الكتابة من حقّها أو من حقل العقلانية العلمية، وذلك بهدف الحفاظ عليها في خارج يأخذ بعض الأحيان شكل الأسطورة. هذه هي العملية التي قمتُ بمساءلتها بالخصوص في "صيدلية أفلاطون"، وهو ما كان يتطلب طرُقاً جديدة ولم يكن له أن يرتبط لا بالميثولوجيا ولا بالمفهوم الفلسفي للعلم (16). إن الأمر يهم بالخصوص التفكيك الفعلي للتعارض بين

(15) انظر بالأساس في علم الكتابة، ص. 65، وما يتبعها و "السيمولوجيا وعلم الكتابة" ضمن هذا الكتاب.

(16) ليْسَم لي بأن أذكّر هنا بأن النص الأول الذي نشرتُ يتعلق بالخصوص بمشكلة الكتابة كشرط للعِلْمِيّة (مقدمة أصل الهندسة لهوسرل).

الفلسفة والأسطورة، بين اللوغوس والميوس وهذا لن يتأتى له التحقق الفعلي والنصي (وانا الح على ذلك) إلا عن طريق كتابة مختلفة بكل ما يحمله ذلك من مجازفات. وسوء الفهم الذي تحدثنا عنه مجازفة من ضمنها، وأخشى أن تتعمق وتستفحل هذه المجازفات مستقبلاً.

أما عن تحقير الكتابة، فبديهي أن المسألة لا تتعلق بانتشال الكتابة مما اعتبره أنا خطأ من قيمتها، وإلا لكان الأمر تناقضاً مع السياق النصي الذي جاء فيه. هذا الاحتقار هو بالضبط تمثيل للكتابة ولوضعيتها داخل التراتبية الفلسفية (فوق/تحت).

وهنا أيضاً يعزى إليّ ما أندد به، كما لو أن نقادي كانوا متلهفين أكثر لانتقادي ومناقشتي بذلك أن يضعوا أنفسهم في موضعي لتحليل ما حللته. إن قيمة التحقير هذه تخص ما كانت الفلسفة (وكل ما يتشكل معها في نسق) تعزّم القيام به انطلاقاً من لحظة حياة حاضرة لذاتها في لوغوسها، لحظة امتلاء اونطولوجي أو امتلاء بالأصل: وهذا بالضبط ما جاءت العملية التفكيكية لتقوم ضده. أما مصطلح "السقطة" chute، باعتباره مكملًا لمفهوم "الأصل"، فقد كان دائماً هدفاً لي في علم الكتابة "وفي غير هذا الكتاب. من ثم لم يحدث أبداً أن أخذت لحسابي الخاص موضوع كتابة فوق لغوية ^{supralapsaire} قد تكون ناتجة عن خطيئة أصلية في حقل منقطع وخائر للتاريخ. الأمر على العكس تماماً من ذلك. وبما أن هذا يبدو بديهيًا جداً بالنسبة لمن يريد البدء بالقراءة فإنني لا أريد أن أرح على هذه النقطة بالذات لأمر مباشرة للعلاقة مع هيدجر.

إني، وكما ذكرتما في سؤالكما، أصر على أن هيدجر ذواهمية قصوى بالنسبة لي، وبانه يشكل تقدماً أكيداً لا سابقة عليه، تقدماً نحن ما نزال بعيدين عن استغلال كل موارده النقدية.

إضافة إلى أن ما أكتبه في مجالات مختلفة، ولأسباب عديدة، لا يشبه بأي حال نصاً ذا منزع هيدجري (وهو ما لا أستطيع تحليله هنا باستطالة)، فإني حققت بشكل واضح وفي كل نصوصي انزياحاً عن الاشكالية الهيدجرية، وهوشيء يمكن التحقق منه. إنه انزياح له علاقة خاصة بمفاهيم من قبيل "الأصل" و "السقطة" التي تحدثنا عنها. وقد قمت من ضمن ما قمت به، بتحليل ذلك بخصوص الزمن باعتباره "أفقاً متعاليًا لمسألة الكينونة

"في الكينونة والزمن" لهيدجر، أي في نقطة استراتيجية حاسمة (17). إن هذا الانزياح يتدخل من جهة أخرى في قيمة الخاص propre (الخاصية، خصص، التملك، وكل مشتقات: الخاص، eigennis, eireig-eigentlichkeit) الذي اعتبره الخيط الأمتن والأصعب في الفكر الهيدجري. أريد في هذا المضمار أن أوضح بسرعة بأن قيمة الخاصية والأصالة الأصلية هذه قد خضعت من جانبي لقد واضح. ويمكن القول إنني في نقدي لهيدجر بدأت من هذه النقطة بالذات: لكما الحق إذن أن تندھشاً من هذا التهافت وهذه الرتابة لكن لا يمكن بأي حال تقويلي عكس ما أقول، وهوما قام به رودتسكوفي كلوني: فعلم الكتابة كعلم شامل للأثر الجامع يقدم نفسه من ثم كفكر تفسيري لاسطورة الاصول. إنه بحث لا في "الأصول التاريخية" وإنما في الاصيل original وفي الحقيقي والاصل الاشتقاقي etymon الاصيل الحاضر دوماً الذي يعمل على إبطاله ". هنا يأخذ الخطأ في الفهم أبعاداً مذهشة. فحيثما تنفرض قيم الخاصية propriete والمعنى الحقيقي sens propre والقرب من الذات والاصل الاشتقاقي ... في علاقتها بالجسد والوعي واللغة والكتابة. . . ، أقوم بتحليل الرغبة والفرضيات الميتافيزيقية التي تعتمل داخلها. ويمكن الوقوف على ذلك في "الكلمة المهموسة" وفي أي مقام آخر.

فـ "الميتولوجيا البيضاء" تمنهج نقد نزع الاصل الاشتقاقي etymologisme في الفلسفة والבלاغة (18). طبعاً وحتى نعود لهيدجر، فالنقطة الأكثر حسماً والأكثر صعوبة هي مسألة المعنى، أي معنى الحاضر والحضور. وقد اقترحت ولوبشكل تخطيطي في "الكائنية

(17) بعد أن استشهدت بمقطع لهيدجر حول "سقط Fallen وانحط Verfallen كتبت ما يلي: 'وإذن أليست مقابلة الاصيل originaire بالمشق dérive ميتافيزيقية خالصة؟ ليس البحث عن الاصل الاول archie عموماً، ومهما كان الحذر الذي نحيط به هذا المفهوم، العملية الجوهرية للميتافيزيقا؟ وإذا افترضنا أنه بالإمكان تخليصه من أي منبت آخر بالرغم من وجود قرائن قوية ضده، ألا يحمل الانحطاط verfallen على الأقل طابعاً أفلاطونياً خالصاً؟ لم يتم تحديد الانتقال من زمنية معينة إلى أخرى كسقط chute؟ ولم يتم نعت الزمنية بالأصالة - أو بالخاصية - وبغير الأصالة واللاتلازم بمجرد ما يتم توقيف وتعليق كل اهتمام أخلاقي؟ يمكننا مضاعفة هذه الأسئلة حول مفهوم الغائية وحول نقطة انطلاق التحليلية الوجودية حول الكائن étant والتي تبرر بالقرب المنغز من الذات ويتطابق التسائل مع ذاته الخ. وإذا كنا قد اخترنا مسألة التعارض الذي يبين مفهوم الزمنية، فلأن التحليلية الوجودية بمجملها تغضي إليه "هوامش الفلسفة"، ص ص. 73-74 (م. ف.)

(18) انظر هوامش الفلسفة، ص ص. 251-257 وما يليها. وانظر أيضاً التوضيح الموجود في الهامش 7 من "المقامة المزدوجة". (م. ف.)

والحرف "ousia et gramme" (19) إشكالية أوبالاصح لوحة لقراءة نصوص هيدجر من هذه الزاوية. إنه عمل جبار، والأمور ليست هنا دائمة السهولة. وبما أنني لا أستطيع في حيز هذا الحوار سوى أن أفتتح انطباعات سريعة فإني أقول بأنني أحسُّ بعض الأحيان بأن الإشكالية الهيدجرية هي المدافع الأكثر "عمقا" و"ضراوة" عما أحاول أن أجعله موضع تساؤل تحت عنوان فكر الحضور.

ولحسن الحظ أننا نأيننا عن الخلط المُنهمك في خلق التناظرات والذي :

(1) يحصر انشغاله في الإسقاط الأعمى للتفكيك الجراماتولوجي على هيدجرية مبسطة، الظاهر أنه لم يفقه فيها شيئا.

(2) الإيهام بأنه لا يوجد في فكر هيدجر شيء غير الإيديولوجيا الألمانية لما بين الحريين : وهو اختزال مؤشر لنمط معين من القراءة.

(3) الإيحاء بأن هيدجر متحفّظ تجاه التحليل النفسي فقط لأن هذا العلم "يهودي" (وهو ما يوحي ومن خلال عدوى عامة بأن أي أمرى تمهّل وقرا بانتباه هيدجر سيشتك لا محالة في موقفه). إن ملحاحية هذا القول ستجعلني على وعي بموقف معاد للسامية لا يزال بدائيا!

فهناك، حتى نختتم، انحراف طائش وإسقاط ترنجسي ينحوا أكثر فأكثر نحو العدوانية. وأنا انصت لهذا النوع من الخطاب منذ مدة وأعيره اهتماما وإن غامضا بعض الأحيان. لكنني إذا كنت ألتزم الصمت أحيانا فلا يلزم استغلال ذلك بتجاوز.

لترك إن شئتما هؤلاء الدكاترة المتخصصين في الجينولوجيات العلمية أو القربابات الإيديولوجية، فالطلبة سيأخذون عنهم أن هيدجر يعتبر الجدلية ذات جوهر يهودي وأن أفلاطون وريث للرواقين والابيقوريين ("علم الحروف" (العناصر البسيطة) أوتقنية النحو grammatische techné التي أرسى أسسها الرواقيون والابيقوريون والتي أعاد طرحها أفلاطون ونظر لها أرسطو... كما جاء في تدخل أحدهم). وكما تريان فإن ما يُسيء

* يترجم دريدا كلمة ousia (الحضور) أيضا بالكائنية، نظرا لأنها تشير إلى الزمن في ارتباطه الجوهرى ككائن بالحضور. إن الزمن لا يوجد إلا في صيغته الحاضرة ككائن حاصر. وفي هذه الترجمة تبدى الشحنة الدلالية للكلمة في استعمالها الفلسفي (أرسطو، هيجل وهيدجر). انظر البحث المذكور، ضمن "هوامش الفلسفة"، ص. 44. (المترجم)

"لإشكالية سردية" كهذه هوانها قادرة على تفكير ما يجعل من أطروحتها شيئاً غير قابل للسرد. فهل كان بورخيس J.L. Borges سيوقع حكاية لها هذه الفَرَادَة؟ للأسف لا ...

■ ج. سكاربيتا - يمكننا العودة الآن إلى ما قلته بصدد التاريخ. إنني أفكر في نص من في علم الكتابة تقول فيه: "إن كلمة "تاريخ" كانت بالتأكيد تربط دائماً بالخطاطة الخطية لاشتغال الحضور". فهل تتصور إمكانية مفهوم للتاريخ بنفقت من "الخطاطة الخطية" لاشتغال الحضور هذه؟ هل هناك حسب رأيك إمكانية لما يسميه سولرس مثلاً "التاريخ العظيم" monumentale أي تاريخاً يتم تصويره لا كـ "خطاطة خطية" وإنما كسلسلة عملية مترتبة، اختلافية وتناقضية، تاريخاً لا يكون واحدياً أو تاريخانياً؟

□ طبعاً. ما يجب أن نحذر منه، وأنا أكرر ذلك، هو المفهوم الميتافيزيقي للتاريخ. إنه مفهوم التاريخ كتاريخ للمعنى الذي تحدثنا عنه من برهة: تاريخ المعنى الذي يحدث، يتطور ويكتمل بشكل خطي وعبر خط مستقيم أو دائري. لهذا إذن، فإن "انغلاق الميتافيزيقا" لا يمكنه أن يأخذ شكل خط، أي الشكل الذي تمنحه إياه الفلسفة والذي يطابق هويته. فانغلاق الميتافيزيقا ليس بالخصوص دائرة تحيط بحقل متجانس لذاته وفي طويته، حقلاً يكون خارجه بالمثل متجانساً. فللحد شكلُ شروخٍ مختلفة دائماً، وشكلُ انشطاراتٍ تحمل كل النصوص الفلسفية أثرها وجرحها.

إن الطابع الميتافيزيقي لمفهوم التاريخ لا يرتبط فقط بالخطية وإنما بنسق كامل من المؤديات (غائبة، أخروية، تراكم متصاعد ومستبطن للمعنى، نوع معين من التقليدية، مفهوم معين للاستمرار والحقيقة... الخ).

إنه ليس محمولاً عرضياً يمكننا التخلص منه بغسلٍ محليٍ أي بدون تحويل عام للنظام وبدون أعمال النسق نفسه (20). قد أكون تحدثت في عجالة عن "مفهوم" ميتافيزيقي معين. لكني لا أعتقد أبداً في وجود مفاهيم ميتافيزيقية في ذاتها. من ناحية أخرى لا وجود

(20) ليس التدخل الذي استقيت منه هذا الاستشهاد الأخير، وبالرغم من كثرة الأخطاء والغموض (التي يلزم دراستها) هو الأكثر نقصاً من بين التدخلين اللذين أحيل إليهما هنا. إنني مضطر للاعتراف بذلك للزراعة وحتى أتمكن من جانبي من تفادي الخلط.

لمفهوم يكون بذاته وفي ذاته ميتافيزيقياً (21)، أي خارج كل العمل النصي الذي يدخل في إطاره. وهذا يفسر كيف أني رغم طرحي لتحفظات كثيرة إزاء المفهوم "الميتافيزيقي" للتاريخ استخدم باستمرار كلمة تاريخ كي أعيد كتابة حُمُولِها ومدّأها (22) وأنتج مفهوماً آخر للتاريخ أو سلسلة مفاهيمية مُغايرة لـ "التاريخ". وأنا أعني بالفعل تاريخاً عظيماً وتراثياً وتناقضياً، تاريخاً يتطلب أيضاً منطقاً جديداً للتكرار والأثر بما أننا لا نرى إمكانية تاريخ بدوئهم. لكن ينبغي الاعتراف بأن مفهوم التاريخ عرضة لاستقطاب الميتافيزيقا نظراً لقوة المحمولات التي ذكرت أنفاً بنسبها. مثلاً يجب التمييز بين التاريخ العام والتاريخ كمفهوم عام. إن النقد الأساسي والضروري الذي اقترحه التوسير للمفهوم "الهيغلي" للتاريخ ولفكرة الكلية التعبيرية... الخ يهدف، إلى توضيح أنه لا وجود لتاريخ عام وحيد ولا لتاريخ عام، وأن ما يوجد هي تواريخ مختلفة في نمطها وإيقاعها ولحظ آثارها، تواريخ تكون متباعدة واختلافية... وأنا كنت دائماً متفقاً مع هذا الطرح ومع ما يسميه سولرس تاريخاً عظيماً. (23)

(21) هوامش الفلسفة، ص. 11.

(22) أقدم هنا مثلاً: "لر لم يكن لفظ تاريخ يتضمن مرضعة القمع النهائي للاختلاف لاستطعننا القول بأن الاختلافات وحدها قادرة على أن تكون من البدء وبشكل كلي "تاريخية". إن ما يكتب مغايرة سيكون إذن حركة اللعبة التي "تنتج" هذه الاختلافات وآثاراً لاختلاف عبر شيء لا يمكن ببساطة أن يكون نشاطاً. وهذا لا يعني أن المغايرة من حيث هي متجة للاختلافات سابقة عليها وموجودة في حاضر بسيط لا متغير في ذاته وغير مختلف indif- from. إن المغايرة هي "الأصل" غير الممتلئ، وغير البسيط، الأصل المتين للاختلافات، ولو أن اسم الأصل هذا لا يوائمها (...). أخذاً بعين الاعتبار على الأقل خطاظة أو مضمون الضرورة التي صاغها سوسير، سنعين بالمغايرة الحركة التي يوجهها يشكل اللسان تاريخياً ومعه أي سنن وأي نسق إحالات عموماً، كنسج من الاختلافات. ينبغي أن نفهم "يشكل" و "ينتج" و "يخلق" و "حركة" و "تاريخياً" الخ خارج لغة الميتافيزيقا التي تنتمي إليها بكل مؤدباتها. وسيكون من الضروري توضيح لم تظل مفاهيم من قبيل الانتاج والشكل والتاريخ، من هذا المنظور، شريكة لما يتم وضعه هنا موضع تساؤل، إلا أن هذا سيؤدي بي اليوم بعيداً جداً (نحو نظرية تمثيل "الدائرة" التي نبدو ملقنين داخلها). وأنا لا استخدمها هنا ومعها مفاهيم أخرى كثيرة، إلا بنوع من الساحل الاستراتيجي ويهدف بدء تفكيك نسقها في النقطة الراهنة الأكثر حسماً ("هوامش الفلسفة)، ص. ص. 12-13. وانظر أيضاً التشتيت ص. ص. 235-236. وحول لا تساوق هذا التفكيك انظر بالخصوص ص. ص. 18 و19

(23) خلال جوابي المرجل نسيت أن سؤال سكاريتا كان يعني أيضاً التاريخية التاريخية historicisme. طبعاً يبدو لي أن نقد التاريخية بكل أشكالها ضروري. لقد كان هوسرل، حسب معرفتي، أول من سمي الهيغلية تاريخية انطلاقاً من ضرورة نظرية وعملية (بالأخص رياضية). وابتداء من "الفلسفة كعلم صارم" إلى "أصل الهندسة" كان نقد هوسرل يستهدف هيغل باستمرار إما مباشرة أو من خلال ديثي Dilthey. وما تعلمته يبدو لي قيماً في خطاطته الاستدلالية بالرغم من أنها تستند في نهاية المطاف إلى غائية تاريخية للحقيقة يلزم متابعة التساؤل حولها. إن هذا التساؤل سيكون

أطرح الآن سؤالاً من غط آخر: انطلاقاً من أية نواة دلالية دُنياً سنسمي "تاريخاً" هذه الأنماط من التاريخ المتباينة وغير القابلة للاختزال...؟ كيف نحدد هذا الحد الأدنى الذي يلزم أن يتوفر فيها بشكل مشترك إن لم نعترف أن الاسم "تاريخ" الذي نطلقه عليها يأتي بشكل عُرْفِي محض أو نتيجة خلطٍ محض؟ هنا بالضبط تدخل مسألة نسقِ المحمولات التي تحدثنا عنها سابقاً.

حين سأل سقراط عن معنى العلم كانت الإجابة: هناك علمٌ وعلمٌ وآخر ثالث... ثم علمٌ آخر. إن سقراط يلح كي يتلقى جواباً فقيراً يحسم بشكل اختبائي وجبري ويجيبه بذلك عن طبيعة علمية العلم وعن السبب في تسمية هذه العلوم المختلفة علوماً. لكن حين نتساءل عن طبيعة تاريخية التاريخ التي تمكنا من إضفاء اسم التاريخ على تواريخ غير قابلة للاختزال إلى تاريخ عام، فإن ذلك لا يعني العودة إلى سؤال من النمط السقراطي. بالعكس، إن ذلك يعني توضيح أن خطر الاستقطاب الميتافيزيقي شيء لا مفر منه، وبأن هذا الخطر يبرز بسرعة كلما طُرحت مسألة تاريخية التاريخ (وكيف يمكن تفادي طرحها ونحن نستخدم مفهوماً تعددياً وهجائياً *heterogeneiste* للتاريخ؟) نكون مدفوعين للجواب بتعريف للماهية والجوهر وبإعادة صياغة نسقِ من المحمولات الجوهرية، ونكون مدفوعين من ثم إلى إعادة ترتيب العمقِ الدلالي للتقليد الفلسفي؛ هذا التقليد الذي يعود دائماً في النهاية إلى بناء التاريخية *historicité* على خلفية أونتولوجية تحديداً. من ثم يلزم التساؤل

كالتالي: هل يمكننا نقد التاريخية باسم شيء آخر غير الحقيقة والعلم (أي قيمة الكونية الزمنية الحاضرة باستمرار ولا نهائية القيمة الخ)، وما سيكون عليه حال العلم إذا نحن وضعنا القيمة الميتافيزيقية للحقيقة موضع تساؤل؟ كيف نتيم إعادة تشكيل آثار العلم والحقيقة؟ لقد قمنا بهذا التذكير المجلل لإثارة الانتباه إلى أننا خلال لقائنا هذا لم نتفوه أبداً باسمٍ نيتشه. هل كان ذلك صدفة؟ فنتيشه كما تعرفان بشكل بالنسبة لي مرجعاً مهماً للغاية بخصوص ما تحدث عنه في هذه اللحظة الدقيقة، وبخصوص الباقي أيضاً. أخيراً، من البديهي أننا لا نرمي هنا وبأي حال، إلى القيام بخطاب ضد الحقيقة أو ضد العلم (وهي مسألة عبثية ومستحيلة مثلها مثل كل اتهام حاد في هذا المجال). ونحن نقوم منهجياً بتحليل قيمة المعرفة باعتبارها تماثلاً أو تلاؤماً *homöis ou adaequatio* باعتبارها يقيناً للكوجيطو (ديكارت، هوسرل) أو باعتبارها يقيناً مضاداً للحقيقة في أفق المعرفة المطلقة (فينومينولوجية الروح لهيغل)، أو أخيراً باعتبارها حقيقة *aletheia* أي انكشافاً أو حضوراً (تكرار هيدجيريأ)، فليس ذلك من أجل العودة بشكل ساذج إلى اختبارية ذات متزع نسي أو شكّي. (انظر بهذا الصدد خصرصاً في علم الكتابة، ص. 232، وهوامش الفلسفة، ص. 7). ساكرر إذن: من أجل الحقيقة *il faut la vérité*، تاركاً لفعل الوجوب ذلك كل قدراته الشكّية. ولأولئك الذين يخادعون أنفسهم والآخرين أقول: إن الحقيقة هي القانون. وكما قال فرويد عن القضيب الحاضر / الغائب (والمسألة تتعلق بنفس الشيء)، يلزم أخذ الحقيقة باعتبارها "النموذج العادي للبدن *leuche*". فكيف تتجاوز الحاجة إليها؟

ليس فقط عن "جوهر" التاريخ وتاريخية التاريخ وإنما عن تاريخ "الجوهر" عامة . وإذا نحن أردنا إقامة قطيعة بين " مفهوم جديد للتاريخ " ومسألة جوهر التاريخ (كمفهوم يتحكم فيه) وكذا مسألة تاريخ الجوهر وتاريخ المفهوم وأخيراً مسألة تاريخ معنى الوجود ، فإن العمل الذي ينتظرنا يبدو هائلاً .

إننا لا نستطيعُ لا بخصوص مفهوم التاريخ ولا بخصوص أي مفهوم آخر ، القيام بعملية تحويل بسيطة وآنية ، كما أننا لا نستطيع مَحَوَ كلمة ما من العُجَم . المطلوب هوبلورة استراتيجية عمل نصيُّ يستعيرُ في كل مرة كلمة عَيْقَة من الفلسفة كي يَفْصِلُهَا عَنْهَا لِلتَّوْ . وهذا ما أشرت له من قبل حين تحدثت عن الحركة المزدوجة أو التنضيد المزدوج . من جهة يلزم قلبُ المفهوم التقليدي للتاريخ ، وفي نفس الوقت القيام بانزياح معين يُلْزِمُ السهرُ على ألا يصبح قابلاً - بسبب هذا القلب وهذه المفهمة - للاستقطاب الميتافيزيقي مجدداً . علينا إنتاجُ مفهمة جديدة لكن مع الاحتفاظ بوعينا بأن المفهمة لوحدها وبذاتها قابلة لأن تستعيد ما كنا نودُّ "انتقاده" . لذا فإن هذا العمل لا يمكنه أن يكون عملاً " نظرياً " أو " مفهوماً " أو " خطابياً " محضاً ، أعني عملاً متعلقاً بخطاب تحكمه في كليته مقولات الجَوْهَرُ والمعنى والحقيقة وإرادة القول والوعي أو المثالية . . . الخ . إن ما ادعوه نصاً يتضمن أيضاً ويتجاوز " عملياً " حدودَ خطاب من ذلك القبيل . يوجد نصٌ كهذا حيثما يكون ذاك الخطاب ونظامه (جوهر ، معنى ، حقيقة ، قصدية ، مثالية ...) متجاوزين ، أي حيثما أصبح مَحْفَلُهَا سَمَةً تنتمي لسلسلة يكمن وَهْمُهَا البنيوي في إرادة التحكم فيها [أي السمة] . أكيد أن هذا النص العام لا ينحصر ، كما يمكن أن نفهم أو نكون قد فهمنا ذلك ، في الكتابة على الصفحة . إن كتابته لا حدودَ خارجيةَ لها بقدر ما لا تملك إعادة الوسم البيئية re-marque حدوداً خارجية . أما الكتابة على الصفحة ثم "الادب" فهي أنماط محددة من إعادة الوسم هذه ، ولذا يلزمنا مساءلتُها في خصوصياتها أي في خصوصية "تاريخها" وفي تفصلها مع الحقول "التاريخية" الأخرى للنص العام وذلك بوسائل جديدة .

هذا بسرعة هو ما يفسر لماذا استعمل غالباً كلمة "تاريخ" بين مزدوجتين والحيطة التي أوْهَمَت الآخرين " برفض للتاريخ " من جانبي .

■ ج - ل . هُودين : - هذه التحليلات تضعنا دفعة واحدة على محاور مختلفة من شساعة أبحاثك . إنها أيضا تمنحنا القدرة على التعرف الدقيق على المجال التاريخي والنظري حيث يلزمنا طرح أسئلتنا ، معتبرين طبعاً أن عملك يتطلب بذاته مجاله التساؤلي الخاص .

لنحدد باختصار هذا المجال كمجال للجدلية المادية ، للمنطق الجدلي المادي الذي يتم فصل اقتصاده العام انطلاقاً من السلسلة المفاهيمية " مادة (كمركب لا يمكن اختزاله في العلاقة : ذات / معنى) / تناقض / صراع المتناقضات ، وحدة ولا انفصالية وتبادلية الأضداد في سيرورة تحولها ... " . هذه السلسلة المفاهيمية ، التي ساهم التوسير بعمق في إمكانية إعادة قراءتها ، يلزم فهمها داخل اقتصاد تظهر وضعيته المزدوجة بشكل أساسي في تلك الوحدة المزدوجة التي دعاها سولرس مؤخراً مادية تاريخية / مادية جدلية .

لأعط هنا الصيغة الأولى لسؤالي : ما العلاقة التي يدولك أنها تقوم بين هذا الاقتصاد الجدلي المادي والاقتصاد الذي أنشأت انطلاقاً من إشكالية الكتابة ؟ لنحاول تحديد حقل أولي للسؤال لا يزال هلامياً بما أنه ستتاح لنا العودة إليه باستمرار خلال هذا الحوار (هناك أسئلة كثيرة تتعين من الآن داخل هذا السؤال ، والمسار الذي ستتبع سيكون مساراً نجمياً *étoile* يرتكز على التقاطعات وعلى الاختراقات المتتالية للأسئلة والأجوبة) : يبدو واضحاً ، وكل ما قلته يؤكد ذلك ، أن بين هذين النمطين من الاقتصاد يمكن تحديد عدد وافر من نقاط التقاطع أو على الأقل من نقاط التلاقي ، خصوصاً إذا نحن اعتمدنا تفكيك إشكالية الدليل في انتمائها لمركزية عرقية أساسية وفلسفة الوعي أو الذات الأصلية . إذا كان الأمر يبدو كذلك فيلزمنا اليوم طرح مشكلة وضعية نقاط التلاقي الاستراتيجية هذه .

مثلاً ، داخل مسار تفكيك الخطاب العرق مركزي هذا ، يبدو أن اللقاء مع النص المادي حتمي باعتباره يشكل في فضاء حضارتنا النص التاريخي المكبوت والمقموع منذ زمن من طرف الخطاب العرق مركزي (المثالي والميتافيزيقي والديني) كخطاب للأيديولوجية السائدة بمختلف أشكالها التاريخية . هل ستكون متفقا معنا لإثبات ضرورة ذلك اللقاء ؟ وهل يمكنك أن تقول لنا لماذا حضر هذا اللقاء في كتاباتك إما بطريقة هامشية ، عبارة عن سؤال جهوي (وأشير هنا بالخصوص لهوامش عديدة من " المقامة المزدوجة " تشهد على

الضرورة التي وجدتَ نفسك داخلها آنذاك، ضرورة التعقيد الاستراتيجي بل السياسي لمُؤدَّيات خطابك)، وإما بطريقة مختصرة جداً، كما في هذا المقطع من مقالة "المغايرة" حيث تمجِّل - في معرض حديثك عن التشكيك في "الوعي و يقينه الأكيد في ذاته" - إلى نيتشه وفرويد وتترك الإحالة إلى ماركس ومعه النص الجدلي معلقة، وهو تعليق قابل بالتأكيّد للقراء؟ صحيح أن هذا التشكيك في يقين الوعي بذاته لا يتم عند ماركس ولينين "انطلاقاً من موضوع الاختلاف وصحيح أيضاً أن اقتصاداً عاماً من نوع آخر بدأ يشتغل هنا (أوهوبداً منذ زمن) وذلك حسب السلسلة المفاهيمية التي طرحت من قبل والتي ينبغي أن نضيف إليها هنا المفهوم الماركسي للإيديولوجيا".

□ طبعاً لا أستطيع بكلمة واحدة الإجابة عن كل هذه الأسئلة. من أيها ابدا؟ لنبدأ بما سميت "لقاء" والذي يبدو لي منذ زمن طويل ضرورة حتمية. ولا تتصور أنني لم أكن واعياً كل الوعي بذلك. فانا ما زلتُ متشككاً بالاعتقاد بأن ليس هناك من منفعة نظرية أو سياسية في التسرع في إقامة الاتصالات أو التمهصلات كلما كانت الشروط غير واضحة بشكل قاطع. ففي النهاية لن يُنتج هذا التسرع إلا آثاراً دوغمائية وانهازية وخلطاً. إن أخذ النص الماركسي، وفي صعوبته بجدية ولا تجانسه أيضاً وكذا في الأهمية الحاسمة لفعله التاريخي، هو ما يفرض هذا الحذر.

لكن من أين ابدا إذن؟ إذا أردنا وضع خطاطة، لن تكون إلا كذلك، فإن ما حاولته يمكن أن يندرج بدوره تحت عنوان "نقد المثالية". من الواضح أن المادية الجدلية لا تتضمن ما يمكن أن يُشيرُ حفيظتي، على الأقل باعتبارها نقداً للمثالية، كما لم يسبق لي أن عبرت عن هذا التحفظ.

أما "الفجوات" التي أشرت إليها فإنها، ولتسمح لي بذلك، محسوبة بشكل واع، وذلك بهدف وسمِّ أَمَّا كِنَ بالبلورة النظرية التي تظل في نظري على كل حال في عداد الآتي. إنها فجوات لا اعتراضات على الجدلية المادية ولها وضعية جد خصوصية وشخصية ولا أزعُمُ أنَّ لها فعالية ما. حين أقول "في نظري" أعني ما يلي: ما بين العمل الذي أحاوله، وهو عمل محدود لكنه يمتلك حقله وهيكله وليس ممكناً إلا في وضعية سياسية وتاريخية ونظرية... إلخ محدودة جداً، ما بين هذا العمل وكل النصوص والمفاهيمية الماركسية لا يمكن لذلك اللقاء أن يكون مُعطى مباشراً.

والاعتقاد في إمكانية ذلك يعني مَحْوَ خصوصية الحقول وتحولاتها الفعلية. إذن في الحالتين معا يتعلق الامر، وسأعبر عن ذلك بسرعة، بحقول تؤكد إمكانية تحولها العملي. وحين أقول "في عداد الآتي" أقصد بالخصوص علاقة ماركس بهيجل وأفكر في كل هذه القضايا التي تحدثنا عنها من برهة (جدلية، اختلاف، تناقض... الخ). ورغم العمل الضخم الذي أنجز في هذا المضمار فإن البلورة الحاسمة ما زالت لم تحقق بعد لأسباب تاريخية ضرورية لا يمكننا تحليلها إلا من خلال عملية البلورة المستقبلية.

لقد حاولت الاعتماد في اقتراحاتي الأولية على بعض المكتسبات الحديثة أو على أشياء لم تكتمل بعد في نظام الفلسفة والسيولوجيا واللسانيات والتحليل النفسي... وإذن فلا يمكن اعتبار نص ماركس وانجلز ولينين بلورة مكتملة علينا "تطبيقها" ببساطة على الظرف الحالي. ويقول في هذا لا أقترح شيئاً مناقضاً لـ "ماركسية"، أنا متأكد من ذلك. فلا ينبغي لنا قراءة هذه النصوص تبعاً لمنهج هيرمينوسي أو تفسيري يعمد إلى البحث فيها عن مدلول مكتمل قابع تحت المساحة النصية. إن القراءة تحويلية بالضرورة، وأظن أن ذلك قد تأكد مع بعض الاقتراحات الالوتوسيرية. إلا أن هذا التحويل لا يتم بشكل عشوائي، إنه يتطلب قواعد خاصة (بروتوكولات) للقراءة. لم أقول الأشياء بكل عنف: لم أجد بعد لدى الماركسيين ما يشفي غليلي.

فكما أنني لم أتعامل مع نص سوسير ونص فرويد أو أي نص آخر باعتباره مُجلِّداً volume متجانساً (هذا التجانس كموضوعة لا هوية مثلى هو ما يلزم تقويضه)، كذلك لم أجد نفسي أمام نص ماركس وانجلز أولينين باعتباره نقداً متجانساً. بيد ذلك، مثلاً، في علاقتهم بهيجل. كما أن الطريقة التي فكروا وصاغوا بها البنية الاختلافية أو التناقضية لعلاقتهم بهيجل لم تبدلي - عن حق أو عن خطأ - مقنعة. أنا مطالب إذن بتحليل ما اعتبره لا تجانساً، وبالتالي مفهومة ضرورته وقانون قراءته، هذا مع أخذ التقدم الحاسم، الذي تم بشكل متزامن وفيما بعد مع التوسير، بعين الاعتبار. كل هذا يطرح قضايا كثيرة، ولا أستطيع أن أقول لكُما شيئاً لا يمكن قراءته في الفجوات أو الهوامش التي أشرت إليها وعلى الأقل بالنسبة لمن يرغب في متابعة نتائج ذلك. إن هذه الأمور تحيل بالخصوص إلى الاقتصاد العام الذي حاولت رسم ملامحه انطلاقاً من جورج باطاي. من البديهي إذن وفي حدود ما تعنيه كلمة مادة - كما قلتماً - من آخرية جذرية (بالعلاقة مع المتعارضة

الفلسفية) أن ما أكتب يمكن اعتباره "ماديا". وكَمَا تَرَبَّانَ فالأشياء ليست بهذه السهولة. لمفهوم المادة لم يحدد دائما كخارج مُطلقٍ أولا تجانس جذريٍّ فقط داخل النص المادي (هل يوجد شيء من هذا القبيل، أي النص المادي؟) ولا داخل كل نص مادي. بل إنني لست متأكدا من إمكانية وجود "مفهوم" معين للخارج المطلق. وإذا كنت لم أستعمل إلا قليلا مفهوم "المادة" فليس ذلك ناتجا عن حذر ذي طابع مثالي أوروخاني، كما تعرفان. ذلك أنه داخل مرحلة أو منطق القلب شهدنا كيف شجِنَ هذا المفهوم كثيرا بقيم "عقل مركزية" مرتبطة بقيم الشيء والواقع والحضور بصفة عامة (الحضور المحسوس مثلا، حضور له امتلاء ماهوي، حضور المضمون والمرجع... الخ). إن الواقعية أو الحسية أو "التجريبية" تحويرات للمركزية العقلية (ولقد ركزت كثيرا على كون "الكتابة" أو "النص" لا يمكن اختزالهما هما أيضا إلى المحسوس أو المرئي، وإلى المكتوب الخطي، أو إلى الحرفي *grammatique* باختصار لا يبدولي الدال: "مادة" إشكالياً إلا في اللحظة التي تَنفَادَى فيها إعادة توظيفه لنجعل منه مبدأ جديداً، أي في اللحظة التي يتم فيها إعادة بنائه كـ "مدلول مُتَعَالٍ" من خلال سلفية نظرية معينة. إن المدلول المتعالي ليس فقط مرجعاً للمثالية في معناها الضيق، إذ يمكنه أن يساهم في إعادة تكريس المادية الميتافيزيقية ليصبح من ثم مرجعاً أخيراً بالنسبة للمنطق الكلاسي المرتبط بقيمة المرجع هذه. كما يمكن أن يصبح مفهوم "المادة" واقعا موضوعيا "سابقا إطلاقا لكل اشتغال للسمة، أو مضمونا دلالياً أو شكلاً للحضور يؤمّن من الخارج حركة النص العام. وأنا لست متأكداً من أن تحليل لينين مثلاً ينفلت دائماً من هذه العملية. وإذا كان ذلك التحليل يتنازلُ بعض الأحيان للمدلول المتعالي انطلاقاً من استراتيجية مآ فيلزم بدءاً، وعبر قراءة تحويلية، إعادة بلورة قواعد هذه الاستراتيجية. آنذاك ستزول كل التحفظات: لذا سوف لن أقول عن مفهوم "المادة" بأنه مفهوم ميتافيزيقي في ذاته أو أنه مفهوم غير ميتافيزيقي في ذاته، فذلك متعلقٌ بالعمل الذي يكون في أساسه. وأنتما تعرفان بانني، وبخصوص الخارج غير المثالي للكتابة والنص والآخر...، قد ألححتُ بدون كللٍ على ضرورة عدم فصله عن العمل، وهي قيمة يلزم تفكيرها بدورها خارج انتمائها الهيجلي. إن ما يعلن عن نفسه هنا، كما حاولت الإشارة لذلك في "المقامة المزدوجة" (علم مزدوج، معنى مزدوج، حلبة مزدوجة)، هو أيضاً عملية السمة المزدوجة أو السمة المعادة البيئة *re-marque*. فمفهوم "المادة"، ومعه كل

المفاهيم الأخرى، يلزم أن يُوسَمَ مرتين: مرةً في النص المُفَكِّك، (24) وهي مرحلة القلب، وأخرى في النص المُفَكِّك، خارج التعارضات التي تحتويه (مادة / روح، مادة / مثلية، مادة / صورة ...)، ومن خلال لعبة الانزياح الفاصل بين هاتين السَمَتَيْنِ يمكننا القيامُ مرة واحدة بتفكيك قلب وتفكيك نقل إيجابي أي بتفكيك انتهاك. إن الإلحاح على المادة كخارج مطلق للتعارض، وبالشكل الذي أدمجت به داخل الاقتصاد العام (جورج باطاي) (25) وداخل الكتابة المزدوجة التي تحدثنا عنها، إن هذا الإلحاح المادي (الذي يدخل في تماس مع ما تمثله "المادية" كقوة مقاومة في تاريخ الفلسفة) بدولي ضرورياً. إنها ضرورة تتفاوت حسب المجالات والأوضاع الاستراتيجية وحسب نقاط التقدم التطبيقية والنظرية. في مجال مُحدّد من هذه الوضعية المعاصرة بدولي أن تلك الضرورة ستأخذ الوظيفة التالية: العمل على ألا ينتهي التعميم الضروري لمفهوم النص وتوسعه إلا محدود (الذي يفترض بدوره اختراق الثنائية الميتافيزيقية) إلى تحديد جديد للطوبى في ذاتها أو إلى تحديد مثلية *idealite* جديدة للنص، وذلك تحت تأثير مصالح دقيقة للغاية وبفعل قوى رد فعل تدفع بالعمل إلى الغور في الخلط. كما يلزم تضادي أن يؤوّل النقد الضروري للعلاقة الساذجة مع المدلول أو المرجع أو الشيء إلى تأكيد حالة مُعلّقة تُفضي إلى الإلغاء البسيط والسريع للمعنى أو المرجع. ، اظن أنني قد أخذت احتياطاتي في هذا المجال من خلال الاقتراحات التي تقدمت بها. لكن صحيح أن ذلك، والادلة هنا كثيرة، ليس كافياً. فما نحن بحاجة إليه هو أن نحدد بشكل مغاير وحسب نسق اختلافي، آثار المثلية والدلالة والمعنى والمرجع (يلزم أيضاً تخصيص تحليل نسقي لمفهوم الأثر / النتيجة هذا لأن استعماله شائع اليوم، وهو شيء له دلالاته، وكذا تحليل المفهوم الجديد الذي يقوم بوسمه لحد الآن بشكل غير واضح، إن شيوع هذا المفهوم يتضاعف نظراً لهذا اللا تحديد البسيط ذاته. فكل مفهوم في طور التشكل

(24) وحتى اختصر ما يسمه داخل الحقل المفكك ساستشهد بنيتشه: "لتخل عن مصطلح 'الجوهر' ومن بعد عن المصطلحات التي تتخذها مشتقاته مثل 'الروح' و 'المادة' وكانت أخرى افتراضية. لتخل عن مصطلح 'الخلود' وعن 'لا تغير المادة' الخ. بهذا الشكل ستخلو إذن عن الخاصية المادية *materialite*. أحيل أيضاً إلى المقاطع المنشورة بعد وفاة نيتشه.

(25) أبيع لنفسي أن أذكر هنا بأن النصوص التي تمت الإشارة إليها (بالخصوص "المقامة المزدوجة" و "التشتيت" و "الميثولوجيا البيضاء" وأيضاً "صيدلية افلاطون" ومقامات أخرى) تتموضع علينا في العلاقة مع جورج باطاي وتقرح علينا أيضاً قراءة له.

يُنتج في البداية نوعاً من الفوران القابل للتعين داخل اللغة. يستعير هذا المفهوم الجديد للأثر ملامحهُ من الثنائية: علة / نتيجة، ومن المتعارضة: جوهر / مظهر (أثر، انعكاس) دون أن يُخْتَرَلَ فيهِمَا. إن هذا الجانب من عدم القابلية للاختزال هو ما يتوجب تحليله).

نحن مطالبون طبعاً خلال إعادة النظر في مشكلة المعنى والمرجع / بمضاعفة الحذر. ف "جدلية" المُمَثِّل meme والآخر، الخارج والداخل، المتجانس واللامتجانس، هي كما تعرفان من القضايا الأكثر خداعاً (26). فالخارج عرضة باستمرار لأن يصبح "موضوعاً" داخل تقاطب الذات / الموضوع، أوليُصَبِّح "الواقع" الآمن لخارج النص، وهناك بعض الأحيان داخل يكون مُزَعَّجاً بقدر ما يكون الخارج مُهدئاً، وهوشي لا يلزم نهماهله (27) في حملة النقد الموجهة ضد الطوبى والذاتية. فنحن هنا داخل منطق بالغ التعقيد، والكلمة المرتجلة لا يمكنها بأي حال أن تعوض العمل النصي.

■ ج - ل. هودين: - يمكننا الآن طرق مسألة أخرى كنا أعددناها لما سيأتي إلا أن أجوابك يفرض طرحها من الآن. في هذا التنظيم الاستراتيجي الشامل لعملك، بالشكل الذي ذكرت بمنطقه الأساسي الآن وخصوصاً فيما يتعلق بالوسم المزدوج (قلب / انتهاك الحقل الفلسفي الخاضع لعملية التفكيك) توصلت بالفعل الى أن تأخذ بعين الاعتبار نوعاً من العمل النصي يمكن أن يطرح مُشكل وضعية خطابك نفسه بالعلاقة معه. أريد أن أقول إنه من الأكيد أنك بدشتغالك على نصوص مالآرمي وأرطو وبأطاي وسولرس تطرح شيئاً جديداً وغريباً في الوقت نفسه إذا ما قورن بما عودتنا عليه الفلسفة الكلاسية: فلم يعد

26) انظر في هذا الصدد وبخصوص ما يتعلق بمفارقات اللا تناظر والآخرة مثلاً: "العنف والميتافيزيقا". ضمن الكتابة والاختلاف.

27) كما لا ينبغي أيضاً تشكيل هجاء "المادة" بشكل متعال، سواء كان هذا المتعالي هو القانون أو الموضوع الخارجي الكبير (وهو اللحظة المكونة والمواصلة للحظة الأيسية) أو كان ذا عنصر أصلي أمومي l'Element متعال (مهدتاً كان أم شرساً)، (انظر بهذا الصدد ما يقوله فرويد عن العلاقة المعروفة ام / مادة في مقطع يؤكد فيه - بخصوص عبور تلك العلاقة - مالا يختزل الى تنوع الدوال اللسانية واللغوية. مدخل الى التحليل النفسي، منشورات بايو، ص 145. انظر أيضاً نهاية "فرويد ومسرح الكتابة"). إن هذا لا يعني أن المادة لا تقيم علاقة ضرورية مع هذه اللحظات، إلا أنها علاقة تسلسل منطقي مكتوب، لعبة استبدال للأدلة المختلفة التي تربط المادة أيضاً بالكتابة ومن ثم بالموت والقضب والبراز والطفل والبذرة المنوية. . . إلخ، أو على الأقل بما لا ينصاع للنفي الهيجيلي. إن هذه العلاقة لا تتحول ولا نفسي إذ إلى تحديد لجوهر الوجود والوجود وإلى مركز اونطولوجي جديد وإلى نموذج جديد من الكلمات السرية، تلك التي انتقدتها ماركس نهائياً في الإيديولوجيا الألمانية، المنشورات الاجتماعية، ص 490 مثلاً.

الأمر يتعلق بمراتبية عالم جمال ولا بتعليق ينبنى على نوع من "الجمال الشعاري" كما تعودنا على قراءته في فرنسا. انطلاقاً من مجمل ما حددته، خصوصاً ما يتعلق منه بضرورة اللقاء مع النص المادي، هل يمكنك أن تحدد من الآن علاقة عملك مع العمل النصي المسمى "أديبا" والذي يلعب دوراً هاماً في تفكيرك؟

ج. سكاربيتا: - وحتى أزيد من حدة السؤال المطروح: في نص كـ "التشتيت" تحدد بدقة ممارسة سولرس باعتبارها في نفس الآن إنتاجاً ومبالغة في الإنتاج. إن ما تعينه هنا يبدو لي مهماً جداً: فنص سولرس والقطيعة التي يقوم بها في حقل دلالي "أديبي" معين يتمان عبر هذا السجل المزدوج للإنتاج الذي لا نستطيع إثارة جانب منه على الآخر. أريد أن أعرف، هل يبدو لك أن خطابك مدين لمنطق كهذا؟

□ أنا مدعو هنا للإجابة بسرعة: نعم. على كل حال هذا ما أحاول القيام به. لقد حاولت وصف وتفسير كيف أن الكتابة تتضمن بنويًا (تتضمن وتحذف) * في داخلها عملية انمحاءها وإلغائها وذلك من خلال وسم ما عداها بهذا الانمحاء، عبر منطق من الصعب القيام بإطلالة مختصرة عليه هنا. سأقول إنني حاولت القيام بذلك أكثر فأكثر انطلاقاً من قاعدة للتركيب والتعميم أو المراكمة المتزايدة، وهذا ما أثار، خصوصاً ما نشرت مؤخراً، مقاومة أو عدم تقبل من طرف القراء الأكثر تنوراً.

نعم، هذا بخصوص "السجل المزدوج". إلا أن هذا العمل لم يتم أولاً في الحقل المسمى "أديبا" وإنما وجد أساسه في النصوص المتمية بشكل ما إلى "تاريخ الفلسفة". وما دفعني في هذا الطريق هو اقتناعي أننا إذا لم نُبَلِّغ استراتيجيات نظرية ونسقية عامة للتفكيك الفلسفي فإن انبثاق النصوص سيكون معرضاً للسقوط - خلال مساره - في المغالاة أو البحث الاختباري وفي بعض الأحيان، وبشكل مواز، في الكلاسيكية الميتافيزيقية. والحال أن هذا بالضبط ما نريد تفاديته. لكنني لا أنفي أن تلك الأولاً تُعرض النص لخطر معاكس أو ببساطة لخطر نسقي. ورغم كل علامات الحذر التي لم أفتأ أكثر منها منذ بداية نقاشنا فإنني أعتقد أنه من الضروري المجازفة أحياناً.

لا أستطيع "تكلم" الكتابة أو - كما قلتما - "تركيب" النصوص المثارة هنا، فهذا

آخر شيء يمكن التحكّم فيه في حوار كهذا. فقط أسجل بأن الآثار المتعلقة بالاطروحات النظرية، التي وجدت من الضروري إدماجها فيها، غالباً ما أخفت هذا النسيج. والعكس صحيح أيضاً. وهذا شيء ذاتي بالنسبة لي.

نعم، لا مجال للشك في أن بعض النصوص المعتبرة "أدبية" تقوم بانتهاكات وفتحات ذات تقدم كبير للغاية: آرطو، باطاي، ملارمي، سولرس. لماذا؟ على الأقل للسبب الذي يجعلنا نشك في التسمية "الأدبية" وفي كل ما يخضع الأدب للأدب الجميلة والفنون وللشعر والبلاغة والفلسفة. إن هذه النصوص تقوم في حركتها بالذات بالإعلان والتفكيك العملي للتمثيل، وللتصور الذي كان لدينا عن الأدب. هذا لا ينفي طبعاً أن بعض الممارسات "الأدبية" قد استطاعت قبل هذه النصوص الأخيرة فقط، أي انطلاقاً من التمثيل العام الذي نخلطه فيها، يمكننا قراءة تاريخ الشروخ السابقة بدون أية غاية سلفية.

لقد بدأ لي أن بعض النصوص، ومن بينها تلك التي أشرت إليها، قد وسمت ونظمت بنية للمفهومية الفلسفية التي هدفت إلى السيطرة عليها واحتوائها بشكل مباشر أو عبر مقولات مشتقة من التراث الفلسفي، أي المقولات البلاغية والجمالية أو النقدية الكلاسيكية. كمثال على ذلك فإن قيمة المعنى أو المضمون وقيمة الشكل أو الدال وقيمة المجاز والحقيقة والتمثيل - على الأقل في شكلها الكلاسيكي - لن يمكنها التوصل إلى الكشف عن بعض الآثار المحددة داخل هذه النصوص. وهذا ما حاولت الإشارة إليه بخصوص أعداد (ونصوص تخيلية أخرى سابقة) لسولرس ومحاكاة جسدية Minitique (وشبكة أخرى كاملة من الكتابات) للمارمي، وذلك عبر إعادة طرح القضية الأعم المتعلقة "بالحقيقة" في علاقتها بقضية أخرى ليست أقل أهمية هي الأدبية. في اعتقادي أن مسألة الأدبية والتي ارتكزت في صياغتها الواضحة أساساً على الشكلانيين الروس (لم تقتصر تلك الصياغة عليهم وحدهم بل نهضت أيضاً على جملة ضرورات تاريخية كانت التحولات التي عاشتها الممارسة الأدبية نفسها حاسمة فيها)، قلت إن تلك الصياغة للأدبية شكلت في النصف الثاني من هذا القرن تقدماً حاسماً. فانبثاق قضية الأدبية مكن من تفادي عدد هائل من الاختزالات والتجاهلات التي لن تكف عن الظهور مُجدداً (أعني النزعة الموضوعاتية والنزعة السوسيولوجية والتاريخية والنفسية في أشكالها الأكثر تقنعاً). بالرغم من ذلك هناك رد فعل أو اختزال مُوازٍ يمكن رسم ملامحهما من الآن: إنه يتعلق بعزل خصوصية

شكلية للأدبي يكون لها جوهرٌ وحقيقةٌ خاصتان لا يمكننا مفصلتهما أبداً مع حقول نظرية أو عملية أخرى. من ثم جاء العمل الذي بدأته في "المقامة المزدوجة" (28) أي تسجيل حَذَرِيٍّ تُجَاهَ موضوع "الادبية" في نفس الوقت الذي عَارَضَتْ بلحظتها العنيدة ما سميته نزعة المحاكاة mimeologisme (لا المحاكاة وإنما تَأْوِيلٌ مُعَيَّنٌ لَهَا). كل شيء يمر من خلال هذا الانشطار، والكتابة بمجملها محكومة به كممارسة. إن شكل الانشطار (شكل x) يهمني كثيراً لا كرمز للمجهول وإنما لأن هناك - كما يؤكد ذلك بحثي "التشتيت" - صورة مِذْرَأةٍ بقرنين (وهي سلسلة: الملتقي، المفترق الرباعي quadrifurcu، الجدول، الغربال، المفتاح ...*) غير متساويين، إذ أن أحد قرنيها يمتد أكثر من الآخر: صورة للحركة المزدوجة وللتقاطع الذي أَثَرْنَا منذُ برهة.

هكذا أقول كي أجيب عن سؤالك بأن نصوصي لا تنتمي للسَّجَل "الفلسفي" ولا للسَّجَل "الأدبي" إنها تتواصل بذلك - وهذا على الأقل ما أتمناه - مع نصوص أخرى لم تعد تُنعت بانها "فلسفية" أو "أدبية" لأنها قامت بقطيعة معينة، ولا تحتفظ بنوعيتها تلك إلا تبعاً للتسمية العرفية palonymie. ولنطرح إذن سؤالاً حول التسمية: ما الضرورة الاستراتيجية (ولماذا نسمي لحد الآن استراتيجية كل عملية ترفض الانصياع في نهاية المطاف لأي أفق غائي أخروي؟ إلى أي مدى يكون هذا الرفض ممكناً وكيف يتفاوض بخصوص آثاره؟ ولم يضطر إلى التفاوض بشأنها؟ لماذا تحيل الاستراتيجية إلى لعبة المناورة وليس إلى التنظيم التراتبي للوسائل والغايات؟ ... الخ. اظن أن هذه الأسئلة غير قابلة للاختزال السريع)، وإذن ما الضرورة الاستراتيجية "التي تتحكم في الاحتفاظ أحياناً باسم قديم لإطلاق مفهوم جديد؟ مع كل ما يفرضه هذا التمييز الكلاسي بين الاسم والمفهوم من تحفظات يمكننا البدء في وصف هذه العملية: نظراً لأن الاسم لا يسمى البساطة اللحظية لمفهوم ما وإنما يُسمى نسقاً من المحمولات التي تُحدّد مفهوماً وبنية مفاهيمية متمركزة حول هذا المفهوم أو ذاك، فإننا نقوم أولاً، باستئصال خاصية محمولية صغيرة تكون مُحْتَفَظاً بها ومُحدّدة داخل بنية مفاهيمية معطاة (تكون محدودة نظراً لخوافز وعلاقات قوى قابلة

(28) انظر النشيت، ص ص. 203 - 209 - 253.

* يتم اللعب هنا على التشابهات الدلالية والجناسات اللفظية للمفردات الآتية: cle, cale, grille, quadrifurcu, carrefour (لترجم)

للتحليل) تسمى x ، والتوسع المقنن لهذا المحصول المُستأصل. أما الاسم x فيتم الاحتفاظ به بوصفه رافعا للتدخل ولكي تستمر الهيمنة على التنظيم الداخلي الذي نهدف إلى تحويله فعليا. وإذن يتعلق الأمر باستئصال وزرع وتوسع، وهي عمليات أسميها حسب السيوروات التي وصفتها: الكتابة. ثانياً: نقوم بالتحريير والزرع greffe.

■ ج - ل. هُودبين: - لنستعد إذن، وحسب الحركة النُجمية لمسارنا، مشكلة طُرحت في سؤال سابق يُعيد طرح نفسه بخصوص القضية المتعلقة "بالاسم القديم". فهَمَّنتُ بما طرحتُه اللحظة أنه من الصائب أن النص المادي في تاريخ كَبْتِه لم يكن في مامن من الأخطار التي ترتبط بأي شكل من أشكال القلب البسيط للخطاب المثالي السائد. هكذا أخذ الخطاب المادي شكلاً ميتافيزيقياً (أي ألياً وغير جذلي) حين ظل سجين الأزواج التضادية المتمية للخطاب السائد (المثالي والميتافيزيقي). إنها أزواج قام الخطاب المادي داخلها بعمليات قلب تمت حسب التاكثيك المعروف أي حسب حركة لا تستطيع هذه المادية (الآلية) السيطرة عليها كلية.

لكن هذا القلب، إذا ما أخذ في مسار استراتيجي معينة، ليس عدماً، فهو لا يستهلك نفسه في علاقة تأملية محضة، ونتيجته - ككل نتيجة - تتعلق بعملية تناقض "لا تُساوي صِفراً". إن هذا "القلب" الذي ليس عدماً يدخل هو نفسه في تاريخ هو التاريخ المختلف للمادية وللجدلية حيث يفرض ضرورة التمثيل بين السياسي والإيديولوجي وتفرض معه فعالية الأول بالمقارنة مع الثاني.

من جهة ثانية فإن النص المادي (كما تمت بلورته خاصة من طرف ماركس ولينين بعد هيجل) لا يمكنه أن يُختزل إلى الوجه المعاكس للموقف المثالي داخل نفس الثنائية الميتافيزيقية مادية / مثالية: إنه على العكس من ذلك، وكما يسجل ذلك سولرس في "لينين والمادية الفلسفية" (مجلة تيل كيل Tel quel، ع. 43)، في وضعية لا متوازية إزاء الخطاب الفلسفي الذي يتجاوز فيه ثنائه الخطية.

إذن، وحتى نتطرق لأحد أوجه النقاش الدائر، ولكي نظل في المجال المتعلق بقضية "الأسماء القديمة"، ألا تعتقد أن ما يجري على التناقض ينسحب على مفهوم اللأ وهي حين تحدده كسمة "لاخريّة" مُعتَقة "نهائياً من أية سيوروة للاستعراض ندعوه بها

للحضور شخصياً؟ ثم ألا تعتقد أن فرويد إذا كان أعطى لهذه "الأخرية" "اسماً ميتافيزيقياً هو اللا وعي" فإن هذا المفهوم كما تم تحديده وكما يشتغل داخل اقتصاد النظرية والممارسة الفرويديتين ينفلت في معناه الدقيق من كل اختزال ميتافيزيقي؟ ألا يسري نفس الأمر إذن على التناقض، وهو كذلك "اسم ميتافيزيقي" إذا نحن فكرنا في انتمائه للجدل الهيجيلي من حيث إمكان اعتباره جدلاً مُحدَّداً بالحركة الغائية للنفي سوى أنه مفهوم يُعَيَّن في معناه الضيق وداخل اقتصاد الجدل المادي قضايا لا علاقة لها تخصيصاً بالخطاب الميتافيزيقي؟ وربما نكون بحاجة إلى مناقشة هذه التسمية ("الاسم الميتافيزيقي") نفسها في علاقتها بمفهوم التناقض عموماً وضمنه انتماؤه الهيجيلي، نظراً:

أ) لأن فكراً ميتافيزيقياً (ذا نزعة عقل مركزية فعلاً) بكامله قدّم ولا يزال يقدم نفسه علنياً ككبت / قمع للتناقض، وهو قمع / كبت حطمته، بإشارة تاريخية ذات أهمية بالغة وفتحته (تجاه مكبوته / مقموعه) تساوقاً مع حركة تشكل فيها المادية الجدلية تاريخياً، نقطة القلب والتحويل.

ب) لأن الموضوع الأساسي للنص المادي هي التناقض وتفكير التناقض الذي ظل مكبوتاً / مقموعاً طيلة قرون عديدة. أما المشاكل المتعلقة ببلورة مفهوم التناقض التي أشرنا إليها آنفاً، فإنها لا يمكن أن تُنسبنا أنه يتجاوز في عمقه الجدلي الخطاب الميتافيزيقي (فهو ليس سجينه كلية)، لأن ما كان يُدرك كروح "أو كـ" وعي "يتم فهمه من طرف المادية (بدءاً من لوقريطس Lucretius في حديثه عن "الطبيعة الجسمانية للروح والعقل") باعتباره أحد أشكال المادة. أما المادة فيتم تحديدها بدورها كمفهوم فلسفي انطلاقاً أساساً من طابعها الوحيد في أن تكون واقعاً موضوعياً، وفي "أن توجد خارج وعينا" كما يقول لينين أو، حتى نستشهد بملفوظ معاصر يشتغل داخل حقل التحليل المادي الجدلي للممارسات الدالة، باعتبارها "ما ليس المعنى" أي "ما يوجد بدونه، خارجه ورغماً عنه" (كريستيفا)، وهذا المزيج الجذري (مادة / معنى) يتحدد مباشرة كـ "حقل للتناقض".

لكن ينبغي لنا بدون شك أن نطالبك بتوضيح وضعية "المغايرة" والمنطق الذي تفرضه، في علاقتها بالتناقض الذي نذكر هنا، حتى نتاح لنا إمكانية القفز نحو أسئلة جديدة، بأن كريستيفا تحدده كـ "عماد للدلالة signifiante".

□ لا يمكنني هنا إعطاؤك جواباً يختلف مبدئياً عن الجواب الذي وظفته بخصوص مفهوم المادة. اظن انه لا يوجد ما يمكننا من القول بأن التناقض والجدل يفلتان في النص²⁹ الماركسي من سيطرة الميتافيزيقا. من ناحية أخرى أنت تقول عن المادة مستشهداً بلينين: "الطابع" الوحيد "في أن تكون واقعاً موضوعياً وأن توجد خارج وعينا"، والحال أن كل عنصر من هذه الجملة - ولنعترف بذلك - يطرح مشاكل عويصة ويلزم لذلك أن نسائل فيها كل الترسيبات الآتية من تاريخ الميتافيزيقا. إذا كانت المادية تحكم، في نهاية المطاف وبهذا الشكل، النص الفلسفي للينين فليست هي التي ستقنعني بقطيعته مع الميتافيزيقا. حالياً، وبالقدر الذي تشغل به موضوعه التناقض فعلياً داخل عمل نصي خارج الجدول التاملي، واعتباراً لتبلور إشكالية جديدة للمعنى (هل نستطيع القول إنها تبلورت عند ماركس ولينين؟ وهل ساكون معادياً للماركسية إذا شككت في ذلك؟ ألا توجد ضرورات تاريخية كافية لتفسير ذلك وتبريره؟)، اعتباراً لذلك كله، يمكن الموافقة على رأيك. لكن اصارحك مرة أخرى باني لا اعتقد في إمكانية الحديث، ولومين منظور ماركسي، عن نص ماركسي متجانس قادر على التحرير الآتي لمفهوم التناقض من افقه التاملي والغائي والأخروي. وإذا نحن أردنا العثور على أصل ما تسميه "مكبوت الفلسفة" فيكون علينا الرجوع ليس فقط إلى ماركس أو على الأقل إلى النص الذي أسس انفتاحه وإنما - وماركس يعرف ذلك - إلى أبعد بكثير منه، أي إلى ما ندعوه عادة "الماديين الإغريق"، مع كل ما سيعترضنا من مشاكل عويصة تتعلق بالقراءة والترجمة وتجعل من الصعب التوصل إلى نتائج مرضية في لغتنا نحن. إننا لا نزال بشكل ما في البدايات. في "المقامة المزدوجة" قصرت إحالتي للمادية، وبشكل موح على "rhythmos" الديموقريطسي (الكتابة والإيقاع معاً)، وهو مصطلح هام ينتمي إلى نسق أراد أفلاطون بدون شك إفحامه عبر منحه طابعاً اونطولوجياً (29). وما دام هذا العمل الذي يتطلب مسار قراءة ضخم ودقيق غير تام (وهو شيء يتطلب وقتاً طويلاً) فإن ضبابية أساسية ستظل تعم هذا الحقل. لا يعني هذا طبعاً أن السيرورة العملية بمجملها

* الإلحاح على أداة التعريف طريقة يتمكن بها دريبداً من التشكيك في أحادية التناقض والجدل ومن ثم في انسجامها ووحدهما. (الترجم)

(29) إضافة إلى قراءة تحاليل بنيفيست Benveniste التي أشرت إليها في "المقامة المزدوجة"، ساهمت في توجيهي في هذا الميدان أعمال ودروس ويسمان H. Wiseman ووج. بولاك J. Bollack. وقد حاولت في حلقة دراسية في المدرسة العليا أن أسائل من هذا المنظور نص تيممي Timee (محاورة لأفلاطون) ومصطلح chora البالغ الإشكال.

متعلّقة باكتشاف فيلولوجي، بل أن الاختيار الاستراتيجي للدوأل (وهو ما نناقشه) لا يمكنه الاستقلال المطلق عن هذه القراءات التاريخية.

■ ج - ل. هودين: - أ متفق معك كل الاتفاق حول هذه النقطة ولم أفكر في ادعاء وجود نص ماركسي منسجم كلية بخصوص مفهوم التناقض. فقط كنت أتساءل إذا كان بإمكاننا اعتبار أن كل تموقف مادي يتضمن في عمقه (ولهذا ذكرت بيت لوقريطس الشعري) وبشكل بنيوي ضرورة موضوعتي "المادة" و"التناقض". وهذا ما قادني من زاوية جديدة إلى إعادة طرح مسألة العلاقة بين المنطق الناتج عن السجل المزدوج "مادة" / "تناقض" والمنطق المتضمن في موضوعية المفارقة: إنها علاقة أصبحت ضرورية لكون عملك يمكن فهمه - كما أكدت على ذلك - كنقد للمثالية ولأن نمطي المنطق هذين لا يتلاءمان تماماً. مثلاً في عملك الذي تطوره انطلاقاً من اقتصاد يقصي مفهوم التناقض، هل تتصور حالياً إمكانية إقامة علاقة مع الاقتصاد المتضمن في موضوعية "المادة" / "التناقض"؟

■ لا إن مفهوم التناقض لا يحتل الصدارة في كتاباتي للأسباب التي عيّنتها سابقاً (العلاقة، مثلاً، مع هيجل الذي قال عنه المجلز: "إن الرجل يحتاج إلى وقت طويل قبل أن يهضم، رسالة إلى ك. شميدت، 1-11-1891). أما بخصوص النواة أوبالآخرى الفاصل الذي يشكل المفهوم وآثار التناقض (اختلاف ونزاع...) فإن ما كتبته يبدو لي بالغ الصراحة في هذا المجال.

■ ج - ل. هودين: - ربما يتوضح معنى سؤالي إذا طرح في مجال أدقّ. ج. سكاربيتا: - في "الكلمة المهموسة" مثلاً نتحدث عن علاقة أرطوبالميتافيزيقا. وأنت تؤكد أن أرطوب يتطلب نسق الميتافيزيقا ويخلخله معاً، إنه يحطمه ويتجاوز في ممارسته. ألا يبدو لك أن ممارسة الخلخله والتجاوز والهدم هذا راجع الى منطق التناقض وقد تخلص من استعمالاته التأملية؟

□ لم لا؟ فقط أن يكون مفهوم التناقض محدداً* بكل الاحتياطات النقدية اللازمة وتكون علاقته مع منطق هيجل واضحة. هذا الحكم متسرع بعض الشيء طبعاً.

(لقد خصصت الحديث عن التناقض والجدل من هذا المنظور في أحد نصوبي عن أرطو)*.

■ ج. ل. هُدين: - بما أننا مطالبون بالحديث عن هيجل قد يكون الوقت ملائماً لطرح سؤال يتقاطع مع سؤال سابق حول ما يربط العمل بالنص "الأدبي"، أي بنوع خاص من ممارسة الدال. وأنا أفكر هنا بالخصوص في بحثك "البئر والهرم" (مدخل الى سيمولوجيا هيجل): "إن ما يجعل نص هيجل ذا إغراء خاص هو أننا نجد فيه معاً تلك السيرة المتعلقة بـ "إعادة تملك المعنى" في أقصى درجات تعقدها الجدلي (وأنت تقول بخصوص ذلك: "هيجل آخر فيلسوف للكتاب")

وكذا تلك الممارسة المتعلقة بمنطق معين للدال والمنتبهة لشكل كتابتها في اللغة وفي مسرح اللغة (وأنت تضيف: هيجل "أول مفكر للكتابة"). في علاقتك بهيجل إذن، ما الذي يبدولك مرتبطاً بسيرة الجدل الهيجلي في حالته تلك؟ ما موقع الكتابة لدى هيجل؟ وإذا كنت تقيم بالعلاقة معه "تحويلاً جزئياً جذرياً" فهل تقوم به في أرضية خارجية (مع العلم أنه "أول مفكر للكتابة")، وإلا ما الذي يشكل بالنسبة لك، داخل الجدل الهيجلي، الجانب الذي سماه النص الماركسي "نواة عقلانية" للجدل الهيجلي؟

□ حتى أجيب عن سؤالك بشكل مباشر أقول: إن ذاك التحويل لا يتم في ميدان خارجي كلية وبساطة. إلا أن سؤالك شائك للغاية. لن ننتهي أبداً من قراءة وإعادة قراءة النص الهيجلي. وبشكل ما، فانا لا أقوم سوى بمحاولة توضيح موقعي من هذه النقطة اعتقد بالفعل أن نص هيجل متصدع بالضرورة وأنه يتجاوز ويخالف الانغلاق الدائري لتمثيله. إنه غير قابل للاختزال إلى مضمون وحدات فلسفية philosophemes. وهو أيضاً ينتج ضرورة عملية جبارة للكتابة، أولبقية كتابة ينبغي فحص العلاقة الغربية التي تُقيمها مع المضمون الفلسفي وكذا الحركة التي بموجبها تتجاوز قصديته والتي بموجبها أيضاً تنقاد إلى المراوغة والاستدارة خارج هويتها لذاتها. وفي هذا المضمار يمكن العثور على إشارات هامة وإن غير كافية لدى فيورباخ الذي طرح على الأقل مشكلة هيجل ككتاب ومعه مشكل

التناقض (وتلك عبارته) بين كتابة هيجل و"نسقه". وهذا شيء لا يستطيع اللحظة الخوض فيه وأجل ذلك لنص سيظهر لاحقاً.

إن كل هذه المسألة المتعلقة بـ "النواة العقلانية" (هل ينبغي صياغة هذه المسألة اليوم بمصطلحات من هذا القبيل؟ أشك في ذلك.) لا يمكنها التبلور بالفعل إلا مروراً وبشكل خاص بقراءة هيجل من طرف ماركس وأنجلز ولينين وتخصيصاً الـ "دفاتر حول الجدل" التي تستحق اهتماماً نصياً ونمطاً من القراءة خصوصيين لم يتما لحد الآن، فيما أصبحت مُمَكِّنِينَ (وهذا هو منطلق نصك في النظرية الجامعة* ونصوص سُولرِسْ وجُلُو كَسْمَان حول لينين، وبصفة عامة أعمال مجموعة تيل كيل، وهي فرصة سنحت لي الآن لا ذكر بما خصصته لتلك الأعمال منذ خمس أوست سنوات من تضامن ومساندة لا يفتران). ما يعنيه لينين حين يكتب أمام ملفوظ هيجلي ما: "اقرأوا؟" هل يعني بذلك: أولوا أم حولوا أم ترجّموا أم أفهموا؟ ولتتابع أيضاً كل المجازات التي يحاول من خلالها لينين تحديد علاقة المادية الجدلية مع المنطق الهيجلي، وهي "مجازات" غير منسجمة فيما بينها للوهلة الأولى: عبقرية، إحساس، نسق، قلب، قطع الرأس، تطور تكويني أو عضوي، وأيضا مجازات من قبيل: البذرة والبرعم. وإذا أخذناها في تتابعها فإن هذه المجازات تبدون ناقصة، إلا أنها في "تناقضها" النشيط تنتج أثراً مغايراً. وهناك مجازات أخرى أغفلنا التطرق إليها (30). ثم إن هذا الفيض المكتوب من الصور البلاغية الذي يحيلنا لوحده في بعض الأحيان إلى ما قبل هيجل والذي يحرك فينا صورة أخرى، يفتح أمامنا مهمة نظرية وعملية تتعلق بتحديد جديد للعلاقة بين المادية الجدلية والمنطق الهيجلي. إنها مهمة تساهم أيضاً في إعادة الفحص العام للفضاء التاريخي الذي أدعوه بتساهل فضاء ما بعد هيجل، كما تساهم أيضاً في بلورة تساؤلات جديدة حول الكتابة والكتابة الفلسفية ومسرح الكتابة والفلسفة. وهذا لا يمكنه أن يتم إلا بإعادة إدماج هذه النصوص في قوة كتابتها وطرح مشكل لغة لينين بخصوص المثال الذي يهمنما والحقل التاريخي الذي في إطاره كان يكتب ومشكل الوضعية الدقيقة والاستراتيجية السياسية اللتين تتظلمان وتشكلان نصوصه... الخ.

* جان لوي هودين، مقارنة أولى لمصطلح النص، *Theorie d'ensemble* منشورات سوي، 1968. (المترجم 30) "هوامش الفلسفة"، ص. 225 على الخصوص.

■ ج - ل. هُودِين: ها نحن منقادون بلا شك إلى طرح تساؤلات أخرى. خلال مسارك توصلت، من خلال قراءة نصوص ملارمي وآرطو وأيضاً عبر مجمل نظيراتك، إلى الارتكاز على مفاهيم من قبل مفهوم الدال الذي اقترحتة اللسانيات. وهو مفهوم أعدت إدماجه استراتيجياً في سلسلة أخرى (اختلاف / كتابة / أثر) وحددت علاقته بها كعلاقة تبعية. إنها تبعية مركبة، إذ يتم داخل نصوصك نفسها وسم سلسلة مغايرة لا تختزل (على الأقل في نظري) في السلسلة الأولى. إن الأمر يتعلق ببرانية ولا تجانسية الدليل (تحدث أيضاً عن الجسد و "كتابة الجسد") إزاء هذا الإمساك المباشر للمدلول في مجاورته المباشرة لذاته ولوغي معين حسب الموضوعة الكلاسية للميتافيزيقا. على هذه الشاكلة تضاف بالضرورة إلى موضوعة المغايرة كـ "إمكانية للمفاهيمية وللعملية والنظام المفاهيمي عامة" موضوعة أخرى تكون هذه "الإمكانية" بدورها محددة بها كإمكانية لا تحيل مطلقاً إلى أي أنا ego متعالية (وحدة "الأنا أفكر") وإنما على العكس من ذلك، كإمكانية تنتمي إلى برانية جذرية عن الذات. إن هذه الذات "لا تغدو ذاتاً متكلمة إلا بالتعامل مع نظام الاختلافات اللسانية" ولا تغدو دالا (عموماً يتم ذلك عبر الكلام أو أي دليل آخر) إلا بالانتماء إلى نظام الاختلافات؛ والحال أن هذه الاختلافات، كما تقول أيضاً، لم تمطرها السماء"، فهي تنتمي إلى مجال فكري وذهني بقدر ما أنها ليست من متطلبات التفكير. إنها قد تكون "منذ البداية وكلية" اختلافات تاريخية"، لو أن كلمة تاريخ لم تكن متضمنة للقمع النهائي للاختلاف.

هناك أسئلة عديدة تطرح نفسها:

(أ) ماذا عن هذه الاختلافات التي لم "تمطرها" بالفعل - السماء؟ إذا اعتبرنا أن موضوعة اللاتجانس غير قابلة للتفكير تحت مقولة التباعد لوحدها، وإذا كانت هذه الموضوعة تتطلب لحظة مزدوجة (هي لحظة تناقض) للاختلاف (فراغ، تباعد) وموقع أخرية معينة؛ إذا كان الأمر كذلك فما يمكن أن تعينه "حركة اللعبة التي تعين الاختلافات" من منظور "تاريخ" يرفض في نهاية المطاف كقمع نهائي للاختلاف؟ ألا يمكن الاعتقاد بأن هذه "الاختلافات"، باعتبارها هنا اختلافات لسانية ونماذج من الدال اللساني، ترجع دائماً إلى ما يسميه لآكان الرمزي، وبأنها لذلك ترتبط عضوياً وجوهرياً

(لا فقط بطريقة مصنعة أو باعتبارها اشتقاقاً ظاهرياً من "مغايرة ما" أو "حركة لعبة تنتجها") مع الممارسة الاجتماعية في شكل أنماط إنتاجها الدالة وشكل لغاتها؟
 ب - عن ذلك ينتج السؤال الثاني: أية علاقة يمكن في نظرك أن تقوم بين إشكالية الكتابة كما حددها وإشكالية الدال كما طورها لآكان Jacques Lacan ويقوم فيها الدال "بتمثيل الذات إزاء دال آخر؟

□ بدءاً لا أتبين بوضوح لماذا لا تتماشى فكرة التباعد كما أمارسها مع موضوعه اللاتجانس...

■ ج - ل. هودين: لا، أنا لم أقل بهذا. ولذا أسمح لنفسي بإعادة صياغة السؤال: هل يغطي مفهوم التباعد كلية موضوعه اللاتجانس؟ ألسنا مع الآخريه والتباعد أمام لحظتين لا تطابق إحداهما الأخرى؟

□ طبعاً لا يعني هذان الوجهان من المسألة الشيء نفسه تماماً، لكنهما يظلمان بالرغم من ذلك غير قابلين إطلاقاً للفصل

■ ج - ل. هودين: أنا متفق معك كل الاتفاق. فمؤدى سؤالي يؤكد أنهما مترابطان جدلياً أي تناقضياً.

□ إن التباعد لا يعين شيئاً، إنه لا يعين موجوداً ما أو حضوراً بعيداً. إنه إشارة إلى خارج غير قابل للاختزال، وفي الآن نفسه إلى حركة وانتقال يعين آخريه غير قابلة بدورها للاختزال. ولا أفهم كيف يمكن الفصل بين مفهومي التباعد والآخريه.

■ ج - ل. هودين: لكن أسمح لنفسي بتكرار ما يلي: ليس هدفي أبداً هو الفصل بين هذين المفهومين. إذا سمحت، سنبرز أثر هذه المسألة في حقل أكثر تخصصاً أشرت إليه في سؤال سابق، أعني حقل وضعية هذه الاختلافات "التي لم تظرها السماء"، هذه الاختلافات اللسانية...

□ لا يتعلق الأمر فقط بالاختلافات اللسانية.

■ ج - ل. هودين: - فعلاً. إلا أن التباعد من حيث هو كذلك، أي في معناه الضيق، لا يمكنه في نظري أن يوضح لنا مثلاً نسق الاختلافات اللسانية التي تكون فيها ذات معينة مطابقة بالتشكل.

- ليكن. من البديهي أن مفهوم التباعد لا يمكنه لوحده، شأنه شأن كل مفهوم، أن يفسر لنا شيئاً. فهو غير قادر على تفسير الاختلافات (والمختلفات) التي يفتح بينها تباعد يحدها. إننا سنضفي على هذا المفهوم وظيفة لا هوتية إذا نحن انتظرنا منه أن يقدم لنا مبدأ تفسيرياً لكل الفضاءات ولكل المختلفات. أكيد أن التباعد يشتغل في كل الحقول إلا أنه يعمل فيها بالتحديد باعتبارها حقولاً مختلفة. أما عمليته فهي كل مرة مختلفة و متمفصلة بشكل مغاير (31).

أما الاستعمال الذي أقوم به أحيانا لمفهوم الدال فإنه أيضاً ملتبس وبشكل مقصود لأن الأمر يتعلق بتسجيل خطي مزدوج. إن البدء في التفكيك، باعتباره ليس قراراً إرادياً أو شروعاً مطلقاً، لا يمكن أن يتم في أي مكان ولا في خارج مطلق. وباعتباره بدءاً، فإنه بالضبط يظهر حسب علاقات قوى انفصالية يمكن تحديد مكانها في الخطاب موضوع التفكيك. فالتحديد الفضائي والتقني للأمكنة والمؤثرات الأكثر ضرورة (انطلاقات، إمساكات، رافعات...)، في وضعية معطاة، يرتبط بتحليل تاريخي معين. إن هذا التحليل يتم في الحركة العامة للحقل؛ ولذا فهو غير قابل أبداً للاستئناف من طرف الحساب الواعي لـ "ذات" معينة.

من جهة يكون الدال مرتكزاً إيجابياً: هكذا، أعرف الكتابة كاستحالة توقف سلسلة ما عند مدلول لا يدفع بها إلى الحركة لأنه فقط في موقع إبدال دال. في هذا المرحلة من

(31) بعد إعادة قراءة هذا المقطع من الحوار انتهيت إلى أنني بهذا التدقيق "لا فقط لسانية" (هو ليس سوى تذكير بما لاحت عليه باستمرار) كنت قد أجبت مبدئياً على مجمل سؤالهما الذي يفترض صراحة بأن الاختلافات هي "اختلافات وأنماط من الدال اللساني". مرة أخرى أدقق الأمر وأقول بأن التباعد مفهوم ينضم بدوره، ولا يقتصر على ذلك، دلالة قوة منتجة إيجابية وتوليدية. وباعتباره تشتتاً أو مغايرة فإنه يحتوي على حافز تكويني. إنه ليس فقط الفاصل *intervalle* أو الفضاء الموجود بين شيئين (وهو المعنى العادي للكلمة) وإنما عملية *espacement*، أو على الأقل، حركة التباعد *ecartement*، وهذه الحركة لا يمكن فصلها عن التأجيل - التزمين ("انظر المغايرة") وعن الاختلاف وصراع القوى النشيطة داخلها. إنها حركة تسم ما يبعد عن الذات وتقاطع كل هوية لذاتها وكل أنطواء لحظي على الذات، وكذا كل نجاس ذاتي وكل طوية ذاتية (انظر الصوت والظاهرة، ص. 96). لذا كنت لا أزال لا أفهم جيداً كيف ولماذا تصران على عزله عن موضوعه الآخر *leçon*. أكيد أن هاتين الموضوعتين لا تتطابقان بشكل مطلق لكن لا يوجد مفهوم يتطابق مع آخر. طبعاً لو كنت كررت دائماً تعبير التباعد لوحده لكان معكماً الحق. إلا أن إلحاحي على الآخر وعلى مفاهيم أخرى لا يقل حدة. فالتباعد يعني أيضاً وبالتأكيد استحالة اختزال السلسلة إلى إحدى حلقاتها أو تفضيل الواحدة على الأخرى. أخيراً يلزم أن أذكر بأن المغايرة ليست فقط جوهر أو علة قادرة على إغجاب انحراف ظاهراتي.

القلب نعارض بالإنحاح قُطب الدال مع السلطة المهيمنة للمدلول . لكن هذا القلب الضروري بدوره ناقصٌ بالتأكيد . لقد أبرزتُ بشكل منتظم الحيلة التي يُوجبها تقوم لفظة " الدال " بإعادتنا إلى الدائرة العقل مركزية أوسجنا فيها (32) أما الجانب الآخر من السؤال المتعلق بنص معيب وخصوصي هونص لأن كان فساشرح وجهة نظري على الأقل بشكل سريع وبطريقة إيحائية وبرنامجية . هنا أيضاً ، سواء أتعلى الأمر بالخطاب النفسي بصفة عامة أم بخطاب لا كان ، لا شيء يكون مُعطى أو معطى متناسقاً . أما مصطلح الدال فقد قلت لك سابقاً تصوّرني بخصوصه ، وهو تصوّر يمكن القول إنه ينطبق بالمثل على مصطلحات من قبيل التمثيل والذات وحتى نحدّد بدون إطالة (...) * وبدون لف ولا دوران مسألة لا يمكن تلخيصها في بعض الوحدات الاصطلاحية ، ولكي أقدم ما يمكن اعتباره " موقفني " في هذا الصدد ، لا مرأى من التذكير أولاً أنه منذ " في علم الكتابة " (1967) و " فرويد ومسرّح الكتابة " (1966) أكدت كل نصوسي " حملتها " أو بُعدها النفسي . إن هذا لا يعني أن النصوص السابقة لم تقم بذلك (" القوة والدلالة " ، العنف والميتافيزيقا " ، " الكلمة المهموسة " ...) ، فهذه مسألة لا تبيّني تطرح نفسها بشكل واضح وعياني وغير الترتيب الذي تقوم به داخل الكتابة وداخل التناظم المفاهيمي للفضاء والبياض المحددين للعبة واللذين يرفضهما التمهّل النظري المنتظر بين القضية النظرية للحرف وخصوصية كل نص (وهي قضية أضحت آنذاك من الفوران مكان) من جهة وقضية التحليل النفسي من جهة ثانية . وأنا أحاولُ جاهدًا بخصوص هذا التمهّل الضروري - وهو شيء يمكن التاكّد منه - أن أجعل ما اعتبره مقدمات نظرية وعملية جديدة لا تُغلّق مسبقاً الإشكالية ولا يتم جرّها إلى الغموض من طرف تفاعلات سريعة لا تملك وضعية نظرية صارمة . إنني أحاول أن أحافظ لها على الشكل الذي يُبقي لها على قيمتها إزاء النتائج السابقة . وهذه عملية تظل دائماً ممكنة ، لذا قلت : أحاولُ جاهدًا . إن هذه الخطأطة تنطبق أيضاً وبالمقابل على علاقة علم الكتابة بالماركسية . أما الهدف من الإطلاق العملي والنظري لهذه النماذج

(32) انظر مثلاً في علم الكتابة الفصل الأول (" البرنامج " ، " الدال والحقيقة ") وبالأخص ص . 32 والهامش 9 وكذلك التفتيت ، ص . 284 ، و " السيولوجيا وعلم الكتابة " ضمن هذا الكتاب . (م . ف)

* حذفنا ما يلي سهلاً للترجمة ولأن هذا المقطع يلعب على المعنى المتعدد لكلمة واحدة : Point (النقطة) و faire le point تحديد وإجمال ، و ذلك بهذه الإحالة : (و " المقاومة المزدوجة " تدرس بالتحديد النقطة و الطول و الإحصاء و التفتيت و تحولها ...) (الترجمة)

الجديدة للمفصل، فهو تكسير انغلاق لا يزال مُحكماً جداً، أعني الانغلاق الذي يخفي مسألة الكتابة (بصفة عامة والكتابة الفلسفية والأدبية بصفة خاصة) من التحليل النفسي وكذا الانغلاق الذي يُعْمِي باستمرار الخطاب النفسي عن رؤية بنية معينة من مسرح الكتابة.

حالياً وبخصوص ما أنتظره، أرى برنامجاً للعمل يرتسم أمامي في مجال "التشتيت"، أي في النص الذي يحمل هذا العنوان والذي يمكن القول إنه يحمل كـ "موضوعات" عينية له مسألة العمود colonne والقطعة والضربة coup والمهمل والإخفاء، وذلك في علاقتها بالإثنين deux وبالأربعة وبثالثات أوديب معين، وكذا في علاقتها بالنفي وبالوجود الحاضر est وبالخضور... إلخ، أي في علاقتها بمجموع القضايا التي حطبت باهتمامي في مقامات أخرى. إن ذلك البرنامج يرتسم أيضاً في "صيدلية أفلاطون" و"المقامة المزدوجة" بالخصوص في الهوامش: ٣، ٩، ١٠، ٥٣، ٥٥، ٦١... إلخ، وعملياً في النص بكامله. وكما يتبدى في هذه النصوص، وفي "الميثولوجيا البيضاء" - لمن يريد أن يقرأها - فإن العنوان الأكثر عمومية لهذا الشكل سيكون: الإخفاء والمحاكاة، وأحيل هنا إلى تلك التحليلات وإلى نتائجها. إن مفهوم الإخفاء يرتبط بالفعل، في هذا التحليل، ارتباطاً صميمياً بمفهوم التشتيت. إلا أن هذا الأخير يُوقِعُ ما يَقَاوِمُ كثيراً أو قليلاً - بل ما يتم مقَاوَمَتُهُ من طرف - أثر الذاتية والتذيت subjectivation والتملك، أعني النفي والتسامي والمثلية والاستبطان والدلالة والسيرورة الدلالية semantisation والاستقلال الذاتي والقانون... إلخ، أي ما يسميه لَأَكَّانَ (وهنا أجيب عن سؤالك) نظام "الرمزي". إن مفهوم التشتيت يفلت من مفهوم الإخفاء ويخلخل نظامه، إنه يدفعه إلى الانزياح ويسمُّه بكتابته، مع كل المخاطر التي يستتبعها ذلك، وبدون أن يظل حبيس التصور الذي تقترحه مقولتنا "المتخيل" أو "الواقعي" real. من جهتي، لم أقنع أبداً بهذا التقسيم الثلاثي للمصطلحات، إلا أن صحتها تظل على الأقل مُندمجة في النسقية التي وضعتها موضع تساؤل (٣٣). إن التشتيت، إذا أردنا مُساءلته من هذا الجانب، ليس فقط الامكانية التي

(١١) يدعوني سؤالكما حول "ما يعتقه لأكّان بالرمزي" إلى جواب عام وتفسير مبدئي، ولكن بما أن المجال لا يسمح بذلك، وبما أنني فلتت للمرة الأولى قانون المحاوراة ونمط التصريح فإني لن أفلت من ذلك. وأنا أعلم من جهة أخرى أن بعض أصدقائي، وأحياناً لأسباب متناقضة، أسفوا لحياذي بخصوص هذا الموضوع، لذا أقدم جوابي بشكل

يُوجِبها ينشطر أو سَمُّ (انظر لعبة هذه الكلمة الاكلينيكية [se de l'iter] في "صيدلية أفلاطون والتشتيت" و "المقامة المزدوجة"). إنه ليس فقط أيضاً القوة، أي قوة التكرار، والآلية والإبعاد التي تمكنه من قطع الرابط مع وحدة دال لا يكون بدونه، والتي تمكنه من ثم من

عام. في المدحوس التي نشرتها لحد الآن يبدو غياب الإحالة للأكان Lacan شبه كلي بالفعل. إن هذا لا يتبرر فقط - بدءاً من نشر في علم الكتابة في مجلة نقد (1965) - يكون لأكان قد ضاعف ضدي اعتدائه الهادفة إلى الاحتواء بشكل مباشر أو غير مباشر، بصراحة أو بشكل خفي أو خلال دروسه. فابتداء من هذا التاريخ وعبر القراءة وقفت بنفسي على تلك الاعتداءات في كل كتابة له تقريباً. إن تلك الأفعال تجيب كل مرة على الخطأ الاستدلالية التي حللها فرويد بنفسه والتي بُنيت (في علم الكتابة وصيدلية أفلاطون و "البشر والهيم") أنها تعبر دائماً عن المحاكمة التقليدية للكتابة. إنه الدليل المسمى دليل القدر chandron الذي يراكم حاجة قضية ما للتوكيدات المتنافرة: (1). الخط من قيمة نصوبي مع الرفض المطلق: "إن هذا لا قيمة له" أو "أنا لست متفقاً". 2 - إعطاء قيمة معينة لها مع الرغبة في الاحتواء: "ثم إن هذا يعود لي وقد صرحت بذلك دائماً. إن تشنج الخطاب هذا - والذي أسفت له - لم يكن خالياً من المعنى، بل إنه كان يستدعي أيضاً إنصافاً صامتاً. ولم يكن لي أن ألتزم بالصمت لو لم يكن ذلك يعود لأسباب ذات طبيعة تاريخية نظرية (وهو ما يخالف الحالة الفاصرة التي تحدث عنها آنفاً) إنه تذكير مجمل إذن.

في الوقت الذي نشرت فيه كتاباتي الأولى، لم تكن "كتابات" لأكان قد جُمعت ونُشرت بعد. وفي وقت "في علم الكتابة" و "فرويد ومسرح الكتابة" (1965)، لم أكن قرأت لأكان سوى "وظيفة ومجال الكلام واللغة في التحليل النفسي" و "محفل الحرف في اللاوعي، أو العقل منذ فرويد" (تم الاستشهاد به في "الكلمة المهموسة، نشرت سنة 1966 ضمن كتابات منشورات سوي، المترجم"). وبما أنني كنت متيقناً من أهمية إشكالية الكتابة في التحليل النفسي

فقد وضعت اليد على جملة من الموضوعات الأساسية التي جعلت التحليل النفسي يظل دون مستوى الأسئلة النقدية التي كنت بصدد صياغتها في هذا الحقل العقل مركزي أو بالأحرى ذي الزعة الصوتية والذي كنت أرمي إلى تحديده. من بين هذه الموضوعات: 1 - غائية telos "الكلام الممتلئ" في ارتباطها الجوهرية (وأحياناً في آثارها التطابقية الصارخة) مع الحقيقة الكبرى Verité. ولنا أن نقرا هنا في سعة أصدانه، الفصل المتعلق ب "الكلام الفارغ والكلام الممتلئ في التحقين النفسي للذات": "لكن جازمين، إن التحديد النفسي لسوابق المريض لا يتعلق بمسألة الواقع وإنما بالحقيقة. ذلك أن ترتيب الظروف الماضية بمنحها مدلول الضرورة المستقبلية - بالشكل الذي تصوّرنا الحرية الدنيا التي عبرها تستحضرها الذات - يكون نتيجة للكلام الممتلئ" (ص. 265)، "ولادة الحقيقة في الكلام"، حقيقة هذا التصريح في "الكلام الحاضر" (نفس المرجع)، وهناك جعل عديدة من هذا النوع. ورغم الترتيبات التضمينية فإني لم ألق منذ تلك القراءة تساؤلاً صارماً حول الحقيقة في مجالها التاريخي والمعماري الأكثر ملاءمة. والحال أن هذا التساؤل النقدي، وبالضبط هو ما يربط بين الكلام الممتلئ والحقيقة والحضور (انظر من ضمن ما يمكن الرجوع إليه: في علم الكتابة، ص. 18)، هو ما كنت أمارسه آنذاك بشكل معين.

2- تحت يافطة العودة إلى فرويد تمت عودة جماعية إلى المفاهيمية الهيغيلية (بالأخص مفاهيمية فينومولوجيا الروح في شكلها الأسلوبية الأصلي وبدون مفصلتها مع نسق "المنطق" أو "السيمانيات الهيغيلية") وإلى المفاهيمية الهيدجيرية (خاصة للحقيقة aletheia في تحديدها ك "تحلٍ"، كحجب / كشف) وللحضور ووجود الموجود وإلى الكائن الحاضر هنا Dasein وقد أصبح ذاتاً (ص. 318). ساكون آخر من يعتبر هذه العودة نكوصاً في ذاته، إلا أن غياب أي تفسير نظري ونسقي لهذه الاستيرادات (ولأخرى غيرها) بدا لي بعض الأحيان ينم عن تلك السهولة الفلسفية التي أداها لأكان في نهاية "دائرة الحرف في اللاوعي" تمشياً مع موقف فرويد في هذا المجال. أما تصريح

تفجير هذا الرابط *agraphe* وحل علاقة الأبوة الرمزية هذه. إن التشبث أيضاً إمكانية تفكيك لأن هذا هو المنفتح العام للتفكيك النظري (العملي الذي لا يتم اختراعه بين عشية وضحاها)، وإذا شئتُما إمكانية فتح *decondre* (وهو الفتح الداخلي *decondre en* - في "صيدلية

=

لاكان في ما بعد بأن أصبحنا نشطاً من فينولوجيا الروح له طابع تعليمي أو أن الاصطلاحات المأخوذة باستمرار من الفينومينولوجيا المتعالية لهوسرل ("البن ذاتية" مثلاً) يلزم تلقياً بنوع من الاختزال أو تعليق الحكم "epoche"، فإن حلها لثل المشكلات في جملة واحدة يبدو لي مدهشاً جداً. والحال أنني، سواء في دروسي أو منشوراتي آنذاك، كنت أسأل بوضوح ومن المنظور النقدي الذي تفرقانه السقوية النضية لهوسرل وهيجل وهيدجر. وانطلاقاً من احتساب خطواتهم المنهجية أدركت أنه من المتعذر تمثلهم بذلك الشكل. ونفس الأمر ينطبق على فرويد.

3 - وجود إحالة نشيطة إلى سلطة الصوتيات وبالأخص للسانيات 3- وجود إحالة نشيطة إلى سلطة الصوتيات وبالأخص للسانيات السوسيرية. إنه العمل الأكثر خصوصية للآكان الذي انطلق فيه من الدليل واشتغل حوله. ومع المؤديات والنتائج التي تعرفانها فإن الكتابة، في نقطة الانغلاق التي تشبثن فيها، تُحال إلى نسق للإنبصات للقول يسهر عليه "الصوت بحيث تكون الكتابة استجابة له وحضوراً فيه. إنها تأخذ طابعاً صوتياً لأنها دائماً ذات وحدات صوتية وذات طابع صوتي بمجرد ما تتم قراءتها." (كتابات 1، ص. 470) والحال أنني كنت بصدد بلورة بطارية من الأسئلة النقدية بخصوص هذا الموضوع وضمنه آثار النزعة الصوتية في حقل التحليل النفسي، وأيضاً بخصوص تعقيدات العلم الفرويدي في هذا المجال.

4 - وجود اهتمام أكيد بالحرف والمكتوب لدى فرويد بدون وجود تساؤل خصوصي يتعلق بمفهوم الكتابة كما حاولتُ استخلاصه آنذاك والذي يهم المتعارضات والصراعات التي كان من اللازم استقراؤها ("فرويد ومسرح الكتابة". المترجم). وسأعود بعد لحظة إلى الشكل الخامس لـ "لأدب". ساقفز هنا على إحياءات الخطاب وعلى علامات إعادة إدماج "الدال" والتحليل النفسي عموماً في فضاء ميتافيزيقا جديدة (مهما كانت الأهمية التي تحتفظ بها من حيث هي كذلك) وفي فضاء حددته آنذاك تحت اسم المركزية العقلية وبشكل خاص تحت اسم المركزية الصوتية. ساقفز أيضاً على سمات عديدة كانت تبدو لي - طبعاً بطريقة معقدة وأحياناً متناقضة - أنها تزرعُ العمل اللاكاني في الإرث الفلسفي لما بعد الحرب (هناك أشياء كثيرة يمكن قراءتها من هذا المنظور. لنتابع أيضاً المفردات الآتية: "وجود" "أصلي"، "حقيقي" و "متملى"،) وسيكون ضرباً من العبث أن نرى في هذه السمات تحديداً ظرفياً أو شخصياً، فالضرورة التاريخية التي تفصح عنها غير قابلة للشك. إنني ببساطة، وفي التاريخ الذي تحدث عنه، كنت أدرك - ومعني آخرون - وجود قضايا مستعجلة أخرى. أقفز أيضاً وأخيراً على بلاغة وأسلوب لآكان. فنتائج الرائعة أحياناً والمفارقة أحياناً أخرى (بالعلاقة مع البرنامج و "التقدم" اللذين حكما تلك المرحلة)، والتي لا أقول عنها إنها كانت غير ملائمة لزمناها، كانت محكمة بتأخر معين، وهو ما كان يمنح ذاك الأسلوب وبدون شك ضرورة معينة (أشير هنا إلى ما كان يدفع إلى تعامل معين مع المؤسسة النفسانية المتشكلة آنذاك، وهذا هو الدليل الذي يقدمه لآكان). لقد كنت أقرأ في ذاك الأسلوب، وبالعلاقة مع الصعوبات النظرية التي تهمني، كونه بالخصوص فناً للمدارة *esquive*. فحيوية التضمينات كانت تبدو لي في الغالب مستخدمةً لتضادي أو لتغليف مشاكل متنوعة (والمثال الأكثر دلالة على ذلك هو التمثيل في الخدعة الجمالية ذات الطابع "الجناسي" التي تمكن من إسكات الصعوبة التاريخية النظرية المتعلقة بتحديد الحقيقة كملامة للذات وكعملية ذهنية بالشكل الذي تحكم به في "النبي" الفرويدي) (ص ص 420 و 434)، والتي تساءل - لغياب أي تفسير للمسألة - حسب أي نظام هي تتعايش مع الحقيقة ككشف، أي حضور؟ هذه الحقيقة التي تنظم كل الكتابات *Écrits*)، اعترف أن ذلك يفترض كثيراً من الوضوح الفكري في تغديد الصعوبات والمخاطر. بل إن ذلك قد يكون لحظة ضرورية في تخضير إشكالية جديدة، فقط أن لا تفرق الإدارة في التامل، وإن لا تترك أنفسنا نسقط ضحايااً للتمثيل الملل الذي يأخذ شكل الاستعراض

=

افلاطون") النظام الرمزي في بنيتة العامة وفي الاشكال العامة والمحددة للمجتمع والعائلة او الثقافة. إنه العنف العلمي للكتابة التشيتية والخرق الواسم لـ "الرمزي". فهل ترجع إمكانية فوضى الرمزي الناتجة عن قوة خارجية - وكل ما يقوى الرمزي إلى المتخيل

والدعابة. إنني مفتتح بأن هذه المحفظات، بالرغم من انها تظل بعيدة عن أن تمثل عمل لآكان بكامله، كانت مهمة جداً بحيث جعلتني لا أبحث عن مرجع يأخذ شكل الضمانة داخل خطاب جد مختلف، بخصوص هذه النقطة الأساسية، عن النصوص التي اقترحتها سواء في صياغته اللغوية أم في مجاله وأهدافه. إن مراجع من ذلك النوع كانت ستفضي إلى زيادة الغموض في حقل لم يسلم منه. إنها كانت ربما ستفضي إلى إمكانية اتصال صارم قابل للبناء مستقبلاً. هل كان ينبغي، بالمقابل، التصريح كلية بالاختلاف والدخول في نقاش علي؟ إضافة إلى أن جدول هذه النقاشات كان يبدو لي في مقدماته منشوراً (ومتوفراً لمن أراد قراءته والتكفل به)، فإن ذلك التصريح لم يكن يبدو لي في ذلك التاريخ شيئاً ملائماً وذلك لأسباب عديدة: 1- بما أن مجمل الكتابات نشرت في الفاصل بين ذلك التاريخ والأول فلم يكن علي فقط قراءتها وإنما أيضاً، واعتباراً لما قلته حول البلاغة اللاكانية، الدخول في عمل بدأ لي متجاوزاً لكل حد إذا قورن بما كانت نتيجته لي كتاباتي الأولى (فانا أقرأ عبر الكتابة: ببطء مثلاً بتقديم مسهب لكل كلمة). أكيد أن ذلك ليس بسبب كاف للتخلي عن النقاش الصريح، إلا أنه كاف كي يجعلني أفضل الإجابة خلال مدة (أحدث هنا عن زمن قصير: ثلاث أو أربع سنوات) على متطلبات اعتبرتها أكثر استعجالاً وأسبقية، على الأقل من وجهة نظري. 2- لو كانت لي اعتراضات أقولها (لكن النقاش لا يأخذ بالضرورة شكل الاختلاف وإنما قد يفضي إلى التخلي عن النقاش وإلى تحول معقد) فإني كنت أعرف سبباً أنها ستكون مختلفة كل الاختلاف عن تلك التي كانت تداول في تلك اللحظة. وهنا كانت أيضاً نتائج تبدو لي - رغم ما صرحت به آنفاً - ضرورة داخل كل حقل (وهذا ما جعلني أقوم بكل المستطاع من أجل ألا يتم توقيف دروس لآكان في المدرسة العليا). كما أحيل هنا أيضاً إلى ما قلته في مكان آخر حول الإلحاحية والفاصل والا تساوي في التطور. 3- في هذا الفاصل أيضاً، ارتأيت أن أفضل مساهمة أو "تفسير" نظري سيكون في متابعة عملي حسب الطرق والضرورات الخصوصية التي تجعل من هذا العمل يقترب أو لا يقترب - تبعاً لمُحاور معينة - من عمل لآكان. وليس من المستبعد أن يتم هذا التقارب بشكل أكبر اليوم. منذ ذلك الوقت أعدت قراءة النصين المنشورين للآكان وقرأت نصراً أخرى أظن أنها مُتضمنة كلها في الكتابات. وقد تأكدت قراءتي الأولى بشكل كبير في جوانبها الأساسية، وبالأخص - حتى أسترجع نقطة ستبدو لكم أهميتها القصوى - ما يتعلق بتطابقية الحقيقة كـ "كشف" والكلام (كلام اللوغوس). فقد تم تحديد الحقيقة في انفصالها عن المعرفة، بشكل دائم كتجلٍ وك لا حجاب، أي بالضرورة كحضور، كعرض للحاضر، كـ "وجود للموجود"، أو بشكل أكثر هيدجيرية كوحدة بين الحجب والكشف. إن الإحالة لتناج الخطوات الهيدجيرية تأتي غالباً واضحة بهذا الشكل (الغموض الجذري الذي يعين فيه هيدجر أن الحقيقة تعني التجلي)، هذا الولوج بالكشف والذي يكون موضوع الحقيقة... الخ. وإن يكون المدلول النهائي لهذا الكلام أو لذلك اللوغوس مطروحاً كتقص (كلا موجود وكغائب...) فإن هذا لن يغير شيئاً من هذا الاستيعاء، ويظل ذاك المدلول هيدجيريّاً كلية. وإذا كان من الضروري التذكير بأنه لا وجود ل لغة واضحة (أو بالأحرى لا وجود لخارج النص hors - texte إلا بوجود زاوية معينة للملاحظة، انظر في علم الكتابة، ص. 227 وما يتبعها)، فإنه لا ينبغي أن ننسى أن الميتافيزيقا والوجود اللاهوتي الأكثر كلاسية يمكنهما التكيف مع تلك الطروحات خصوصاً حين تأخذ شكل "أنا الحقيقة أتكلم" أو "لهذا قالوا وعي الذي يقول ذلك بشكل حقيقي يكون مبنياً كاللغة" إنني لن أقول

أوبالاحرى إلى " واقع " يتم تحديده كشيء مُستحيل؟ هل ترجع إلى السكيزوفرنيا ام إلى العُصاب؟ وفي هذه الحالة ما النتائج التي ينبغي استخلاصُها؟(34) هذه الانفتاح هو ما يهمني تحت عنوان التشنيت .

هذا لا يعني أن " الرمزي " (حتى أستمر في استخدام كلمة يتركني اختيارها في حيرة

طبعاً إن ذلك خاطيء . فقط اكرر ان الاسئلة التي طرحتُ تتعلق بضرورة ومسلمات ذاك الاستيعاء وتلك الاستمرارية . ثم اني ابديتُ اهتماماً كبيراً " بالحلقة الدراسية الخاصة بالرسالة المسروقة " . إنه مسار رائع ، اقول ذلك بدون اية عُرْفية . ولأن لاكان كان جد متسرع ليجد فيها التعبير عن " حقيقة معينة " ، فإنه تجاهل - كما يبدو لي - خريطة اشتغال وتخليطية نص إدجار آلان بو وترابطاته مع نصوص أخرى ، أي انه تجاهل قوة مسرح كتابة تلعب فيه . وليس نص لاكان ، أو أي نص عدا ، مغلقاً تجاه هذه القوة وحدتها ، التي لا يمكن ان توازيها أو تكشف عنها أية حقيقة ناضجة . إنها الهجانة التي تحدثت عنها في البداية . والمسألة لا تتعلق بالتعبير عنها بعلامات أو بان يكون النص مفتوحاً أو مغلقاً إزاءها أو بالحديث عنها كثيراً أو قليلاً ، وإنما بمعرفة كيف وإلى أي حد يمكن تسيير وضبط تلك المسرحة والنتائج المترتبة عنها . إنها قراءة تقليدية للغاية لنص إدجار آلان بو ، وفي نهاية المطاف قراءة هيرمينوسية (دلالية) ، وشكلانية (حسب الخطاطة المتقّدة في " القامة المزوجة " والتي المحن إليها سالفاً) . ذلك ما سحاول التدليل عليه عبر تحليل متأنّ للنصين سافمكن من تحقيقه في عمل قيد الاعداد وقمنا نسنّي لي ذلك . وإذا كان هذا التجاهل مُنتجاً في سياقات أخرى فإنه يبدو مقيداً جداً بالحدود التي اثرتها ، للحظة ، تحت اسم المركزية - العقلية (لوغوس) ، " كلام حقيقي " ، الحقيقة كتعارض بين الحجاب والكشف) ، ثم إنه ليس أساساً تجاهلاً لـ " لادبي " (رغم كون هذا الأخير في نظري اختباراً خصباً وناجعاً بالأخص في فك رموز الخطاب اللاكاني) . إن الامر لا يتعلق هنا أيضاً بحماية الادبي من فضول التحليل النفسي . قد يكون العكس هو الاصح . إنها حيلة تعلن عنها الكتابة غالباً باسم " الادب " أو " الفن " ، إلا أنها حيلة لا يمكنها ان تتحدد إلا انطلاقاً من تفكيك عام يقاوم (أو يخضع لمقاومة) لا التحليل النفسي عموماً وإنما قدرة معينة وملاءمة معينة للمفاهيم النفسانية التي نقيسها فيها في لحظة معينة من تطورها . من هذا المنظور تكتسب بعض النصوص " الادبية " قدرة " تحليلية " وتفكيكية أقوى من بعض الخطابات النفسانية التي تطبق عليها جهازها النظري الذي تقوم عليه " الحلقة الدراسية الخاصة بالرسالة المسروقة " (واتمنا تعرفان المكانة المرموقة التي يمنحها لاكان لها في بداية الكتابات) بنص إدجار آلان بو وبخصوص أخرى لا ريب .

لأقف عند هذا الحد وأترك هذا الهامش للحركات المتعددة التي اصبح برنامجها اليوم معروفاً تقريباً .

(34) ألم اشر هنا إلى عنصر إجابة عن سؤالكما الأخير ، حسب ما سميتاه حركته النجمية ؟

أحدد بكلمة واحدة باتنا سنكون مضطرين - إلا إذا اتفقتنا على ان ذلك وجه من وجوه التشنيت - إلى ان نجعل من " الرمزي " ومن الثالث : متخيل / رمزي / واقع ، الجانب القار من بنية متعالية أو اونطولوجية (انظر بهذا الصدد ، " في علم الكتابة ، ص . 90) .

إن هذه القضايا المتعلقة بالتحليل النفسي مترابطة ، نظراً وفعلاً ، مع " التجربة " و " الممارسة " التحليلية ، وهو شيء يعترف به غالباً المحللون النفسانيون ، كما انها مترابطة مع الشروط التاريخية والسياسية والاقتصادية لتلك الممارسة ، وهو ما يلحّ عليه نادرا المحللون النفسانيون . وعن "نواة" الوضعية التحليلية" فإن جميع الارتبازات (البروتوكولات) لا تبدو لي مقدسة ومكتسبة أو معطاة بشكل لا تُرجعة فيه وذات ضمانات " عملية " . أما اتهام التحليل النفسي الامريكي (من طرف لاكان) ، فإنه لا يلزم ان يستحيل إلى ترف جد فعال . إن هذه المسألة مربكة للغاية ، إلا أنها مستخضع في معطياتها إلى تحول تاريخي حتمي .

دائمة) لا يشكل بالفعل أوانه لا يُشكّل صلابة نظام معين (هوايضا نظام الفلسفة) وأنه ليس مدعواً بنويّاً إلى التشكّل وإعادة التشكّل الدائم (كلغة وكقانون، كخالوث علاقة بين الذوات، كجدلية علاقة بين الذوات، وكحقيقة صارخة...). إنما يشير التشثيتُ إلى ما لا ينصاعُ للاندماج فيه بمقدار ما لا يشكل بالنسبة له البرانية البسيطة التي تظهر بصيغة الفشل أوالمستحيل (كان مُتخيلاً أوواقعياً)؛ هذا بالرغم من أنه من الأفضل لنا، إذا انطلقنا من الداخل المغلق لـ "الرمزي"، من الانصياع لتأثير تشابه التشثيت الملمّم مع المتخيل والواقعي. إن ما نُخطئه آنذاك لن يكون التخيل fiction (وهو مفهوم لا يزال بحاجة للتحليل) وإنما السيمُولَاكْر باعتباره بنية ازدواج تلعب داخل المأروي وتضاعف العلاقة الثنائية وتوقف بشكل أكثر فعالية "واقعية" المأروي spéculaire (وهو مفهوم يتطلب إعادة النظر) والخاص propre و"الرمزي" معاً. إن الرمزي مُطالب بعدم الاستسلام للجمود داخل إشكالية للكلام أوالكذب والحقيقة، وذلك هو العنف الفعلي والآثار اللاوعية للسُمُولَاكْر. وبشكل مُختصر فإن التشثيت يُجسد ما لا يعود للأب وما يوجد في الإخصاب أوفي الإخصاء. حَاولاً أن تُتابعاً هذه الجملة في كل دوراتها، وفي مسار كما ستعثران على الحد الفاصل بين التعدد الدلالي والتثثيت (وتلك هي السمة). وتفقدان الحد الفاصل بين التعدد الدلالي والتثثيت (وذاك هو الهامش).

ليس معنى أن نكتب (التثثيت) هو أن نأخذ الإخصاء بعين الاعتبار ومعه كل نسقه - تبعاً للعملية الجبرية التي ذكّرُتْما بها آنفاً - وذلك عبر المراهنة بموقعه كمدلول أودال متعال (إذ يُوجد أيضاً دالّ متعال كالفَضيب phallus، كمرادف لمدلول أول، وكالإخصاء والرغبة في الام)؟ اليس الكتابة أيضاً تشكيكاً في الإخصاء من حيث هو المرجع الأخير لكل عملية نصية ولكل حقيقة مركزية كما لكل تعريف دلالي متملى غير قابل للفصل عن هذا الفراغ المُولد (المشتت) الذي يغامر النصُ داخله؟ إن التشثيت يؤكد (ولا أقول يُنتج أويشكل) الاستبدال اللانهائي، إنه لا يوقف اللعبة ولا يُراقبها ("إخصاء - دائم اللعب ...") (35). فهو يقوم بفعل التوكيد مع كل ما يستتبع ذلك من مخاطر، لكن دون أن يمرّ بالרטانة الميتافيزيقية والرومانسية للنفي. التشثيت "هو" تلك الزاوية من لعبة الإخصاء

التي لا تعني، والتي لا تنصاع للتشكُّل كدالٍ والتي لا تُعرِّضُ نفسها بمقدار ما لا تمثل نفسها، ولا تكشف عن نفسها بمقدار ما لا تخفي نفسها. وهذا هو ما سمَّيَتْهُ خَطِيَّةٌ graphique المهبل الذي لم يعد على مقاس المتعارضة: حجاب / عراء (36).

■ ج. سكاربيتا: أريدُ أن أطلبَ منك أن تدلُّنا على العلاقة التي تُقيمها بين التشيت و غريزة الموت.

□ إنها علاقة ضرورية جدًّا. فابتداءً من فيما وراء مبدأ اللذة وكذا الغرابة المقلقة Das Unheimliche لفرويد (ذي المسار البالغ التعقيد) وكل النصوص السابقة أو اللاحقة التي ترتبط بها، بدأ يتأسس منطقٌ جديد يدوانه يناقض من مناحي عديدة، أو على الأقل يُعقِّد، الخطاب الواضح لفرويد حول الأدب والفن. لقد أحلتُ باستمرارٍ إلى "غريزة الموت" وإلى تصور معينٍ للثنائية والتكرار، وكذا إلى النصين المذكورين، وذلك بالخصوص في "المقامة المزدوجة" و"المغايرة" La différence. إن كل هذا يستدعي بلورةً - هي محط اشتغالي حاليًا - تربط بين مفهوم جديدٍ للتكرار يعمل وإن بشكل متقطع لدى فرويد من جهة، وبين قيمة المحاكاة mimesis (لا قيمة نزعة المحاكاة والتمثيل والتعبير والتصوير والتقليد... الخ)، من جهة أخرى.

■ ج. سكاربيتا: يقودنا هذا إلى صياغة سؤال آخر حول ما يمكن تسميته "ذات الكتابة": أنت تقرّر مثلاً أن "ذات الكتابة" لا توجد إذا نحن عنيْنَا بها ذاتاً - سيدة (لنفسها)، وأن ما يلزم فهمه من "ذات الكتابة" هونسق من العلاقات القائمة بين شرائح النص نفسه. تبعاً لذلك كيف يمكننا إعادة طرح مشكل "ذات الكتابة" انطلاقاً من مفهوم التشيت وما يتمفصل معه، أي من العلاقة الجدلية بين التسامي وغريزة الموت؟

□ كما ذكرْتُ بذلك لم أقلُ أبداً بعدم وجود "ذات الكتابة" (37)، كما لم أقلُ أبداً بعدم وجود الذات. فبعد التساؤلات التي طُرحت بخصوص محاضرة الاختلاف (38)،

16. نفس المرجع، ص. 293.

17. "إن ذات الكتابة لا توجد إذا كنا نعني بها التوحد المتعالي للكاتب. فذات الكتابة نسق من العلاقات والشرائح: من الدفتر السحري إلى الجانب النفساني إلى المجتمع والعالم. ودخل هذا المشهد تكون البساطة اللحظية للذات غير موجودة قطعاً". الكتابة والاختلاف، ص. 335. (م. ف)

18. نقاش منشور بمجلة الجمعية الفرنسية للفلسفة (يناير 1968).

أفضى بي الأمر إلى أن اذكر غولدمان، الذي كان قلقاً بصدد الذات ومعرفة مكان وجودها، بموقفي ذلك. إن المطلوب هو إعادة النظر في نتيجة الذاتية بالشكل الذي تُنتجه بنية النص، وإعادة النظر فيما سميت منذ قليل بالنص العام في كليته لا النص اللساني وحده. ولا أشك في أن هذا الأثر مرتبطٌ حميمياً بعلاقة مُعيّنة بين التسامي وغيرة الموت وبحركة إبطان / مثليه / نفي / تسام. . . الخ، مرتبط من ثم بنوع من الكبت.

وسيكون من الغباء تجاهل، أو بالأحرى تقرير، "إدانة" أخلاقية أو سياسية لهذه الحركة، إذ بدونها - وبدون حركات أخرى - لن يكون هناك أثراً أو ذاتاً أو "تاريخ" أو "مستوى رمزي". . . ينبغي إذن إعادة فحص هذه المفاهيم كلها في الصورة التدريجية لتسلسلها المنطقي لا في هويتها أو غيبتها. وأنا لا أستطيع ارتجالاً أن أضيف شيئاً إلا إذا وضحت سؤالك أكثر.

■ ج. سكاريتا : - أمن الواجب مثلاً قبول وجود هوة سحيقة بين "ذات الكتابة" وما يدعوه لآكان "ذاتاً" باعتبارها "أثراً للدال" ونتاجاً لطوية الدال، أم أن هذين المصطلحين قابلان، على العكس من ذلك، للقاء؟

□ هناك بالضرورة علاقة بين هذين التحديدين لـ "لذات". ولتحليلهما يلزمنا في كل الأحوال أن نأخذ بعين الاعتبار ما قيل سابقاً حول التشثيت و"الرمزي" وحول الحرف الدال. . .

■ ج - ل. هودين : سؤال أخيراً إذا سمحت، ويتم فصل حول التطور العام لأعمالك. ففي أحد أوائل نصوصك المنشورة : "فرويد ومسرح الكتابة" (1966)، وعبر رفض الادعاءات المتعلقة بسوسيولوجيا الأدب - ونحن نتفق معك في ذلك - كتبت بأن "اجتماعية socialite الكتابة باعتبارها مأساة تتطلب علماً مغايراً".

كيف تحدد اليوم هذا المبحث العلمي المغاير؟ وأية علاقة تربط هذا الأخير مع السيميائيات والتحليل السيميائي لكريستفا اللذين يبنيان تطورهما على قاعدة منطقية جدلية مادية؟ وهذا يعني بالضرورة وفي نفس الخط طرح مسألة العلاقة بين "مفهوم" الكتابة والمفهوم الماركسي للممارسة وبالأخص الممارسة الدالة، بالشكل الذي تبلورت به كموضوع للمعرفة والتحليل السيميائي على قاعدة جدلية مادية، وباعتبار هذه الجدلية

المادية تتحدد أيضا انطلاقاً من تدخل ضروري للتحليل النفسي بمجرد ما يتعلق الأمر بحقل الممارسات الدالة.

لكن من الأكيد أيضا الحديث عن عودة النص الحديث لهذه العمليات التحليلية نفسها وعمّا ينتج داخل هذه الممارسة النصية المعاصرة من تجاوزٍ بالعلاقة مع منطق علمي معين للمعرفة.

أما الجانب النهائي من السؤال والذي يمكن أن يفتح أمامنا خلاصة مؤقتة لهذا اللقاء فهو كالتالي : كيف تتصور اليوم هذه السيرورة العامة التي يصعب جداً تفكيرها في غير صورتها كعملية تناقضية وجدلية ؟ وكيف تتصور فعاليتها على الساحة الإيديولوجية الراهنة ، وما يمكن تحويله داخل تلك السيرورة وما مستقبلها وحدودها الممكنة ؟

□ تتضمن الجملة التي جاءت على لسانك كلمة مأساة *drame* ، وهي استشهد كما اعترفت بذلك . إنه استشهد مزدوج .

لننطلق مثلاً من مفهوم الممارسة . فلكي أحدد الكتابة والحرف والاختلاف والنص . . . الخ ألححت دائماً على قيمة الممارسة *praxis* هذه . لذا فحيثما تتبلور ، من هذا المنظور ، نظرية عامة وممارسة نظرية عامة " للممارسة الدالة " أجديني متفقاً مع هذه المهمة العامة بالشكل الذي حددتها به . وأنا أظن أنك تحيل هنا إلى أعمال جوليا كريستيفا .

من البديهي أيضاً وفي حقل تفكيك المتعارضات الفلسفية أن نبدأ بتحليل المتعارضة : ممارسة / نظرية وأن نتخلص نهائياً من تحكمها في تصورنا للممارسة . ولهذا السبب أيضاً لا يمكن أن يكون التفكيك المنهجي عملية نظرية أو سلبية محضة ؛ إذ يلزم الحرص على ألا يتم استقطاب قيمة " الممارسة " مرة أخرى .

والآن ما يمكن أن تكون " فعالية " هذا العمل وهذه الممارسة التفكيكية بكاملها في " الساحة الإيديولوجية الراهنة " ؟ لا يمكنني هنا سوى إعطاء جواب مبدئي وتوضيح نقطة واحدة بالخصوص . يبدو أن هذا العمل يأخذ منطلقه في حقول محدودة ومحددة كحقول " للاديولوجيا " (الفلسفة ، العلم ، الأدب . . .) . وإذن ، فلا مجال لأن ننتظر منه فعالية تاريخية عارمة أو فعالية عامة مباشرة . فالفعالية حتى تكون أكيدة ، لا بد من أن تظل محدودة ومتأزرة ، متمفصلة ومتباعدة حسب الشبكات المعقدة لعملها . لكن ، على العكس من ذلك ، فإن ما يتم حالياً إعادة النظر فيه هو شكل الانغلاق الذي نسميه " إيديولوجيا

"(وهو مفهوم يلزم تحليله بدون شك في وظيفته وتاريخه وأصله وتحولاته) وايضا شكلُ العلاقة بين مفهوم متغير لـ "لبنية التحتية" الذي لن يكون نصُّه العام ابداً " اثرأ " او "انعكاسا" (١٧) من جهة ومفهوم متغير للـ "إيديولوجي" من جهة ثانية . وإذا كنا نقوم في هذا العمل بتحديد جديد لعلاقة نص معين، أو سلسلة دالة، مع خارجها وآثار مرجعها، أي مع "الواقع" (التاريخ، الصراع الطبقي، علاقات الانتاج ...) فإننا لا يلزم أن نكتفي بالتحديدات القديمة بل حتى بالمفهوم القديم للتحديد الجهوي . إن ما يحدث داخل التقويض الحالي هو إعادة تقويم العلاقة بين النص العام وما كان يُعتقد أنه ببساطة الخارج المرجعي للغة أو الكتابة (وذلك في شكل الواقع التاريخي والاقتصادي والجنسي ...)، فهذا الخارج يظل ببساطة في موقع السبب أو العَرَض . أما المظاهر "الجهوية" لهذا التقويض فتمتلك في نفس الوقت انفتاحاً غير جهوي . إنها تهدم حدودها الخاصة وتتحوإلى التمثيل مع المسرح العام للكتابة وذلك حسب أشكال جديدة وبدون أي ادعاء للاكتمال .

39 ("والحال أننا نعرف أن هذه التبادلات لا تمر إلا من خلال اللسان والنص، بالمعنى المادي الذي نعطيه لهذه الكلمة " . في علم الكتابة، ص . 234 . (م . ف)

مؤلفات جاك دريدا التي تدور حولها الحوارات :

- 1) La Voix et le phénomène, P.U.F, 1967.
- 2) L'Ecriture et la différence, Seuil, 1967.
- 3) De la grammatologie, Minuit, 1972.
- 4) Marges de la philosophie, Minuit, 1972.

منتدى سور الأزبكية

WWW.BOOKS4ALL.NET

فهرس

5 تقديم
9 مؤديات
21 السيمولوجيا و علم الكتابة
39 مواقع

دار توبقال للنشر تختار لك كتباً أنت بحاجة إليها

صدر

□ المعرفة الفلسفية :

- حوار فلسفي
- محمد وقيدى
- درس الإبيستيمولوجيا (ط. ثانية)
- عبد السلام بنعبد العالي وسالم يفوت
- الممتن الرشدي، مدخل لقراءة جديدة
- جمال الدين العلوي
- التراث والهوية في الفكر الفلسفي في المغرب
- عبد السلام بنعبد العالي
- دروس في تاريخ الفلسفة
- د. نجيب بلدي
- أعدّها للنشر: الطاهر وعزيز وكمال عبد اللطيف
- ورقات عن فلسفات إسلامية
- محمد عزيز الحبابي
- جينيالوجيا المعرفة
- ميشيل فوكو / ترجمة: أحمد السطاتي و ع. بنعبد العالي
- الكتابة والاختلاف
- جاك دريدا / ترجمة: كاظم جهاد
- الواحد والوحدة
- أبو نصر الفارابي / تحقيق د. محسن مهدي
- نظريات العلم
- آلان شالمرز / ترجمة: الحسين سحبان وفؤاد الصفا
- أسس الفكر الفلسفي المعاصر، مجاوزة الميتافيزيقا
- عبد السلام بنعبد العالي
- دفاتر فلسفية
- إعداد عبد السلام بنعبد العالي ومحمد سبيلا
- الطبيعة
- الحقيقة

مطبعة فضالة
المحمدية - المغرب

إن تساؤلات دريدا تبدأ دائماً من موقع الهامش، أو بما يُعتبر كذلك لا لتعيده - عبر التحليل - إلى موقع المركز، وإنما لتجعل منه موقعاً يمكننا للكتابة وفضاء فعلياً للنص والتفكيك. وبهذا المعنى فإن الحوارات التي يتضمنها هذا الكتاب تقترح نفسها كهوامش تطرح قضايا ونصوصاً هي بدورها جاءت لتكون هوامش للقراءة على نصوص أخرى (لأفلاطون وروسو وهيجل وهيدجر وأرطو وباطاي . . .) إن هذه السلسلة المحكمة الترابط تمكن الهامش من أن يكون منغرساً في صلب القضايا الأساسية التي ينهض عليها الفكر في الغرب، ونصاً متداخلاً مع أشكال كتابته ("أدبا" و"فلسفة" و"بلاغة" . . .).